WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مظاهر التلطيف والتلطف في القراءات المتواترة

دراسة دلالية لنماذج مختارة

إعـداد

دكـتور/ محمد رمضان شوقي يوسف

مـدرس القـراءات وعلومها

في كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا - جامعة الأزهر

١٤٤٧ هـ- ٢٠٢٥م

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

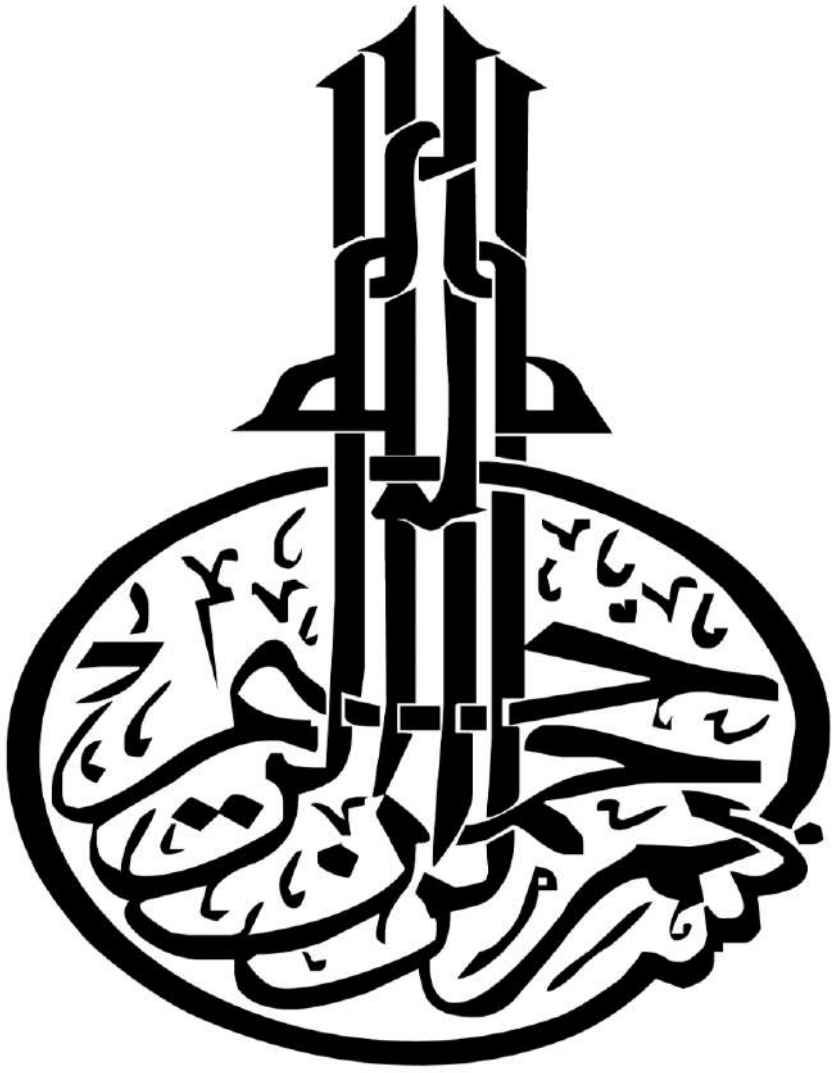

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مظاهر التلطيف والتلطف في القراءات المتواترة: دراسة دلالية لنماذج مختارة

محمد رمضان شوقي يوسف
قسم القراءات – كلية لقرآن الكريم للقراءات وعلومها جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني/
m_ramadan@azhar.edu.eg

مُلخّص البحْث

يقدّم هذا البحثُ دراسةً تحليليةً تطبيقيّة لظاهرة التلطيف اللغوي والتّلَطّف في القراءات العشر المتواترة، كاشفًا أثر اختلافِ القراءات المتواترة في توجيه الدلالة وتلطيف الخطاب، بحسب مقتضىٰ الحال والمقام.

وقد جاءت هذه المواضع مُوَزَّعَةً علىٰ أربعة محاورَ رئيسة: محور التهذيب اللفظِيّ بيْن الزوجين؛ حفاظًا علىٰ قُدْسِيّة العلاقة الزوجية، وصوْنًا لحياء المخاطَبين، ومحور التلطّف في مقام الأنبياء – عليهم السلام – دفعًا لما يُوهِم نسْبةَ ما لا يليق إليهم، ومحور تَلْيِين الكلام في خطاب المؤمنين؛ رفقًا بهم، وسترًا لما قد يُسْتَثْقَل أو يُسْتَقْبَح من جهة العُرْف، أو الذَّوْق، أو الاجتماع، ومحور التلطيف في تهذيب الخطاب العامّ في القرآن الكريم.

وانطلق البحْثُ من منهجٍ يجْمَع بيْن التحليل النحوي والصّرفي والصوتيّ للقراءات من جهة، والتحليل الدلالي من جهةٍ أخرىٰ؛ للكشف عن الوسائل التعبيريّة التي تؤدي وظيفة التلطيف، مثل: العدول عن صيغة التشديد إلىٰ التخفيف، أو البناء للفاعل إلىٰ البناء للمفعول، أو اختيار التّلْويح دون التصريح، أو الانتقال من المواجهة المباشرة إلىٰ الأسلوب غير المباشر، أو استخدام صِيَغٍ تحْتَمِل العموم؛ دفعًا للحرج عن المخاطَبين.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وقد دلّتِ النتائج علىٰ أنّ هذه الاختلافات القرائية لا تُعَدّ مجرّد تنوّع في الأداء الصوتي أو التعبير اللفظي، بل هي وجوه مقصودة، تُسهم في تهذيب المعنىٰ وتلطيفه! وتؤَكّد تكامُل النّصّ القرآني، وانسجام قراءاته مع مقتضىٰ الحكمة الإلهية في التشريع والتوجيه.

كما تُبْرِزُ الدراسةُ أنّ تليينَ الخطاب يُعَدُّ أحدَ الجوانب التي تُظْهِر أثرَ الإعجاز القرآنيّ؛ إذ يَعْكِس توقير كتاب الله تعالىٰ بقراءاته العشر لمقامات الأشخاص والموضوعات، ويُراعِي الفروقَ الدقيقة بيْن السِّياقات، ويُوَسّع مجال الدّلالة بما يُثْرِي الفَهْمَ التفسيرِيَّ والبيانيَّ للقرآن الكريم.

ويخلص البحثُ إلىٰ أهمية هذا الباب في علوم القرآن والقراءات، وضرورة استثمار نتائجه في مزيد من الدراسات البينية التي تجمع بيْن التحليل اللغوي والبلاغي؛ لما له من أثَرٍ في إدراك دقّة النظم القرآني وجماله، وإبراز حِكْمَةِ اختلاف القراءات في خدمة مقاصد الخطاب الرباني.

الكلمات المفتاحية:

التلطيف –التلطف –القراءات المتواترة– دراسة دلالية .

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

Manifestations of Temperance and Temperance in Frequent Readings: A Semantic Study of Selected Models

Prepared by

Mohamed Ramadan Shawqi Youssef

Department of Readings, Faculty of the Holy Qur'an for Readings and Sciences, Al-Azhar University, Arab Republic of .Egypt

Email: m_ramadan@azhar.edu.eg

Abstract:

This research presents an applied analytical study of the phenomenon of linguistic softening and softening in the ten frequent readings, revealing the effect of the difference in the frequency of readings in directing the connotation and softening the discourse, according to the case and the denominator .

These topics are divided into four main axes: the axis of verbal politeness between the spouses in order to preserve the sanctity of the marital relationship and to preserve the modesty of the addressees, the axis of gentleness in the position of the prophets (peace be upon them) in order to ward off what is deceiving the proportion of what is not appropriate for them, the axis of softening speech in the discourse of the believers in order to be kind to them, a cover for what may be burdened or accepted in terms of custom, taste, or meeting, and the axis of softening in the refinement of the public discourse in the Holy Qur'an .

The research started from an approach that combines grammatical, morphological and phonetic analysis of readings on the one hand, and semantic analysis on the other hand, to reveal the expressive means that perform the function of attenuation, such as: averting from the form of emphasis to dilution, or constructing for the subject to construct for the effect, or choosing to wave without declaring, or moving from direct confrontation to indirect style, or using formulas that are tolerant in general, in order to avoid embarrassment from the addressee .

The results showed that these reading differences are not just a variation in vocal performance or verbal expression, but rather intentional faces that contribute to refining and softening the meaning! It affirms the integrity of the Qur'anic text, and the

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

harmony of its readings with the requirements of divine wisdom in legislation and guidance .

The study also highlights that softening the discourse is one of the aspects that show the impact of the Qur'anic miracle, as it reflects the reverence of the Book of God Almighty in its ten readings of the maqamat of people and subjects, takes into account the nuances between contexts, and expands the field of significance in a way that enriches the interpretive and graphic understanding of the Holy Qur'an .

The research concludes that this chapter is important in the sciences of the Qur'an and readings, and the need to invest its results in more interdisciplinary studies that combine linguistic and rhetorical analysis, because of its impact on understanding the accuracy and beauty of Qur'anic systems, and highlighting the wisdom of different readings in the service of the purposes of divine discourse.

Keywords :

Temperance - Temperance - Frequent Readings - A Semantic Study.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مقدمة

يُعَدّ التفسير الصوتيُّ والدلاليُّ لاختلاف القراءات القرآنية من أهمّ ميادين الدرس اللغوي والبلاغي في علوم القرآن الكريم؛ إذ تكشف تلك الاختلافات عن وجوهٍ متنوّعة من الإعجاز، وتُبرز دقّة العربية في أداء المعاني ولطائفها.

ويأتي تهذيبُ الخطاب في القراءات المتواترة ضمن أبرز هذه الوجوه؛ فهو مظْهَر بلاغي يجري في النص القرآني بقصد تهذيب الخطاب! وتخفيف حِدّة المعنىٰ، وتليين الأسلوب؛ اتّساقًا مع مقتضىٰ الحال ومقام الخطاب؛ فيتجاوز التلطيف حدود التحسين اللفظي، إلىٰ الإسهام المباشر في بناء الدلالة ومراعاة نفسية المتلقِّي.

كما أنّ تتبّع القراءات العشر المتواترة يَكْشِف عن مواضع متعدّدة وقعتْ فيها اختلافاتٌ تتّسِقُ مع تحقيق معاني الترغيب والرِّفْق، أو سترًا لأمور تُسْتَقْبح من حيث اللفظُ، أو تُستَثْقَل من حيث السياقُ، أو تنزيهًا لمقام النبوّة، أو صيانةً للمؤمنين من نسبة ما لا يليق بهم.

وتبدو هذه الوجوه البلاغية في القراءات أبلغَ ما تكون؛ حيث تتنوّع الصِّيَغ القرائيَّةُ بين التصريح والتلميح، والحذْفِ والذّكْر، والبناء للمعلوم والمفعول، والتخفيف والتشديد، ولكلٍّ مِن هذه الوجوه أثَرُه في توجيه النفس نحو المعاني برِفْقٍ واعتدالٍ.

ويَحِب التنويهُ إلىٰ أنّ النّماذِجَ المخْتَارةَ في هذه الدراسة تَدخُل تحت التلطيف اللغويّ، لكنّها ليسَتْ علىٰ درجةٍ واحدةٍ؛ فبعْضُ القراءات أَلْصَقُ به مِن غَيْرِها، كما هو مُبَيّنٌ في أثناء الدراسة؛ إذ حرَص الباحثُ علىٰ أن يَذْكُر درجة التّلطيف في كلّ قراءةٍ، وهل هو أظْهَرُ فيها من أخِتها؟ أم كلتاهما مُتساوِيتَان؟

وبناءً على ما سبَق؛ فإنّ دراسة التلطيف في القراءات القرآنية تجْمَع بيْن علوم العربية وبلاغتها، وعلوم القرآن وقراءاته، وتُسْهِم في الكشف عن أسرار التعبير القرآني

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ودقائقه، وفي إبراز قيمة الاختلاف القرائيّ، وأنه ليس مُجَرَّد تنَوُّعٍ صوْتِيّ لا أثَر له، بل هو بابٌ من أبواب الإعجاز اللغوي والبياني.

❊ **أهمية الموضوع**

تبْرُز أهميةُ هذا الموضوع من خلال جملة من الجوانب العلْمية والبلاغية والقرآنية، من أهمِّها:

١- إبراز جماليات القرآن الكريم، من خلال الوقوف علىٰ ما تحْمِلُه بعضُ القراءات القرآنية من أسرار بيانية ودلالية، تتجلىٰ فيها دقّةُ التعبير القرآنيّ، وسُمُوُّ أسلوبه.

٢- تُظهِر الدراسةُ ضرورةَ الالتفات إلىٰ أثَر اختلاف القراءات في التلطيف وتهذيب الخطاب، وهو جانب لم يُبرز سابقًا.

٣- بيانُ أنّ الخلافَات القرائيَّةَ ليست مجَرَّد فروقٍ لفظية، بل إنّها تنطَوِي علىٰ مقاصدَ ومعانٍ تتّسق مع روح القرآن الكريم القائمة علىٰ التلطّف في الخطاب مع الناس كافّةً، وفي أحوالهم عامّةً.

٤- تسليط الضوء علىٰ شيءٍ من البُعْد الاجتماعي والأخلاقي الذي تَنطَوِي عليه القراءات المتواترةُ، في معالجة قضايا مُهِمَّةٍ، كما في بعض المعاملات الأُسَرِيّةِ، والحدود الشّرْعِيّةِ، والآداب العامّة.

٥- نُدْرَةُ الدراسات المتخصّصة التي تناولتْ مفهوم تلطيف الخطاب وتهْذيبه في القراءات القرآنية تناولًا علميًا منهجيًا جامعًا.

أما أسباب اختيار الموضوع فتتمثّل فيما يأتي:

١- عدَم وجود دراسة – في حدود بحثي واطّلاعي – أفْرَدَتِ التلطيف في القراءات بالبحث المستقل، علىٰ الرّغْم من أهميته البيانية والدلالية.

٢- الحاجة إلىٰ تعزيز التكامل بين علوم القراءات والبلاغة، وإبراز أثر اختلاف القراءات في توجيه الخطاب القرآني.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- ما يحمله تهذيبُ الخطاب من قِيَمٍ تربوية وأخلاقية واجتماعية، تمسّ واقع الناس، ولا سيّما في بعض القضايا المهِمّةِ، كالعلاقة الزوجية، والمعاملات.

٤- بحْثُ ما إذا كانت اختلافات القراءات تُسْهِم في مقاصد شرعيَّةٍ، وليس مجرّدَ تنوُّعٍ لفظيٍّ أو صوْتِيٍّ.

٥- رغبة الباحث في الربط بيْن الجانبَيْن العلْمِيّ والعَمَلِيّ، من خلال إبراز ما في القراءات من رحمة وتهذيب! ينعكِسان علىٰ حياة المسلم.

٦- تَطَلُّعُ الباحث إلىٰ إضافة علمية جديدة تثري الجانب الدلالي في القرآن الكريم.

❊ **مشكلة البحث**

تُعاني الدراسات المتعلقة بالقراءات القرآنية من قلّة الاهتمام بجانب التلطيف اللغوي في اختلاف القراءات، بِرَغْمٍ ممّا يكشفه هذا الجانبُ من دقّةٍ في توجيه الخطاب القرآني ورِفْقه بمخاطَبيه! ومن هنا تتمثّل مشكلةُ البحْث في عدَم وجود دراسة متخصّصة تُبرز وجوهَ تَلْيين اللُّغَوِيّ في القراءات العشْر المتواترة، أو نماذج منها.

❊ **أسئلة البحث**

تتفرّعُ أسئلةُ الدراسَةِ عن مُشْكِلة البحْث السابقة، وها هي ذي:

١- ما مفهوم التلطيف اللغوي وضوابطه في القرآن الكريم؟

٢- ما النماذج التي يظهر فيها تليينُ الخطاب في القراءات العشر المتواترة؟

٣- كيف يُسْهِم اختلاف القراءة في توجيه المعنىٰ نحو اللّين والرفق؟

٤-ما الأبعاد التي يكْشِفُها التلطيف في هذه النماذج؟

❊ **أهداف البحث**

١- الكشْفُ عن مفهوم التلطيف في القرآن الكريم، وعلاقته بالقراءات.

٢- تحليل نماذجَ مختارةٍ من القراءات المتواترة، مع بيان توجيهها النحوي والدلالي.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- إبرازُ وجوه تخفيف حِدّة الكلام في تلك النماذج، وربْطُها بمقاصد الخطاب الشرعي.

٤- توضيح أثَر تلْيينِ الخطاب في تعزيز الرِّسالة التربوِيّة والاجتماعيّة للقرآن الكريم.

❊ **الدّراسات السّابقة:**

عُنِيَ الباحثون بالتلْطيف عمومًا، وتناولتْهُ بعضُ الدراساتِ من حيثيّاتٍ لُغَويّةٍ مختَلِفَةٍ، ولكنّي لم أعثُرْ – فيما وقفْتُ عليه من دراساتٍ – علىٰ دراسةٍ تتعلّق بالتلطيف في القراءات عمومًا، والمتواترةِ منها خصوصًا، وقد وقفْتُ علىٰ الدراسات الآتية:

الدراسة الأولى: **التلطُّف في لغة القرآن الكريم**، رسالة أعدّها الباحث/ أحمد محمد فليّح العموش؛ لنَيْل درجة التخصص (الماجستير) للعام الجامعي ٢٠١٠/ ٢٠١١م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، جامعة آل البيت بالأردنّ.

الدراسة الثانية: **أساليب التلطف في اللغة العربية**، وهي رسالة علمية تقدّمَتْ بها الباحثة/ شيرين بسام فرحان سمارة؛ لنيل درجة التخصص (الماجستير) في اللغويّات، بالجامعة الهاشمية بالأردن، عام ٢٠١٣م.

الدراسة الثالثة: **التلطف اللغوي في أسلوب القرآن الكريم، دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي**. بحث قدّمه أ.م.د/ أحمد عبد الله أحمد نصير، أستاذ علم اللغة المساعد، كلية الآداب، جامعة قناة السويس، إلىٰ مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، العدد الحادي والعشرون، يوليو ٢٠٢٢م، الجزء الأول.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الدراسة الرابعة: التلطّف في الأساليب العربية، إعداد/ علي بن عبد العزيز الراجحي، ولم أقف علىٰ بياناتٍ لهذا البحثِ، لكن وجدتُّه منشورًا علىٰ الشبكَة العنكبوتيّة فحسْبُ.

ومِن خلال ما سبَق يتبيّن أنّ هذه الدراساتِ اتّجهَتْ إلىٰ مُعالجة الظاهرة في إطارها العامّ، أو في سياقات قرآنية محدودة، مِن دون التعرّض للتلطيف في القراءات عمومًا، والمتواترة منها خِصِّيصَىٰ، أو بيان أثر التلطيف في الاتّساع الدلالي، وهو ما تميّزَتْ به هذه الدراسة.

أما الدراسةُ الأولى فقد تناولَتْ مظاهر التلطيف في التراث العربي، وفي مواطن الحشمة والمرض في كتاب الله تعالىٰ، ولم يتعَرَّضْ صاحِبُها للقراءات.

وأمّا الدراسة الثانية فقد عرضَتِ التلطيف في فصْلٍ محدودٍ، في إطار لغويّ عام، لا يمتدّ إلىٰ الدرس القرآني، ولا إلىٰ القراءات.

وأما الدراسة الثالثةُ فقد اقتصَرَتْ علىٰ تَهْذيب الخطاب في علاقة الرجل بالمرأة وَفْق علْم اللغة الاجتماعيّ، وليس فيها ذِكْرٌ لأَثَر اختلاف القراءاتِ في تَلْوِين الخطاب وتلْطيفِه.

وأمّا الدراسة الرابعةُ فقد انحصرت في الجانب النظريّ للتلطيف، ودوافِعِه ووسائله، مِن دون أن تَرْبِطَه بالقرآن الكريم أو بالقراءات.

وبناءً على ذلك؛ تتّضح الفجوة البحثية بيْن تلْك الدراسات وموضوع الدراسة الحالية، التي تُقَدّم معالجةً مزْدَوَجَةً تجْمَع بيْن الدلالة القرآنية والقراءات المتواترة، وتكشف أثَرَ اختلاف الصيغ في تلطيف الخطاب؛ مما يجعلها إضافة جديدة في باب الدرس الدلالي للقراءات.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

❊ **منهج البحث**

يعتمد هذا البحْثُ المنهجَ الوصفي التحليلي – القائم علىٰ آليّة التحليل عبْر مسوياتِ اللغة صوتًا، وصرفا، ونَحْوا، ودلالةً – في تتبّع نماذج التلطيف وتصنيفها وتفسيرها، مع الاستعانة بالمنهج المقارن عند بيان الفُروق الدلالية بين القراءات، إضافةً إلىٰ المنهج البلاغي في تحليل التراكيب، وبيان علاقات الدّلالة والمقام والسّياق.

❊ **حدود البحث**

تقتصر حدود البحث علىٰ دراسة القراءات العشر المتواترة؛ فيَخْرُج ما عداها من الشّاذّ وغيرِه.

❊ **خطّة البحث**

اقتضَتْ طبيعةُ هذا البحث أن يتكوّن من مقدّمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعة فصول، وخاتمةٍ على النحو الآتي:

أمّا *المقدِّمةُ* ففيها الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومشكلة الدراسة، وأسئلتها، وأهدافها، ومنهجها.

وأمّا التمهيدُ، ففيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التلطيف والتلطف لغةً واصطلاحًا.
المبحث الثاني: الفرْقُ بيْن التّلطيف في اللغة والأدب والقراءات.
المبحث الثالث: فوائد التلطيف والتلطف.

***الفصل الأول*: أثرُ القراءات في التلطيفِ بين الزوجين**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التلطيف بالتغاضي بيْن الزوجين.
المبحث الثاني: التلطيف في التعْبير عن غشْيان الرجُلِ امرأتَه، وفيه مطلبان:

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المطلب الأول: القراءات الواردة في كلمة: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ مِن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ [النساء: ٤٣] و[المائدة: ٦].

المطلب الثاني: القراءات الواردة في كلمة: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ حيث وردَتْ.

المبحث الثالث: أثرُ القراءات في تلطيف العبارة في مقام نهْي الزوجَيْن عن الإضرار ببعضهما، أو بولَدِهما.

الفصل الثاني: **أثر القراءات في التلطّف في علاقة الولَد بوالِدَيْه**، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التلطيف في مناداة الولد والِدَه.

المبحث الثاني: التلطيف في النداءِ بعنوان الأمومة.

المبحث الثالث: النهي عن إيذاء الوالدين ولو بأدنَى كلمةٍ.

المبحث الرابع: التلطيف في نداء الوالد ولدَه.

الفصل الثالث: **أثر القراءات في التلطّف مع الأنبياء عليهم السلام**، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التلطيف في نقْل كلام الجاهل مع تنزيه المتكلّم الحقيقي عن سُوءِ الأدَب.

المبحث الثاني: نفْيُ الغلول عن النبي ﷺ.

الفصل الرابع: **أثَر القراءات في تلَطّف الخطاب القرآنيّ وتلْطيفه، نماذج من النّهي والسؤال والدعوة إلى الله**، وفيه ثلاثة مباحثَ:

المبحث الأول: النّهْيُ عن الرفَث والفسوق والجدال في الحجّ.

المبحث الثاني: التلطّف في سؤال الله تعالى بالرّحم.

المبحث الثالث: التلطّف في الدّعوة إلى الله تعالى.

وأمّا الخاتمة ففيها أهم النتائج المستخلصة، مع بعض التوصيات.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

التمهيدُ

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التلطيف والتّلطّف لغةً واصطلاحًا.

أمّا التلطيف فأصْلُه الجِذْرُ الثلاثيّ: (لطَفَ) وفيه يقول ابن فارس – ت: ٣٩٥هـ – ما نَصُّه: " اللام والطاء والفاء أَصْلٌ يدُلّ علىٰ رِفْقٍ، ويدُلّ علىٰ صِغَرٍ في شيءٍ، فاللُّطْفُ: الرِّفْقُ في العمَل، يقال: هو لطيفٌ بعباده، أي: رؤوفٌ رفيقٌ ...[(١)]".

واللطيف: اسْمٌ من أسماء الله تعالىٰ، وهو – سبحانه – يُوصِلُ إلىٰ الناس مآربَهم في رفْقٍ، واللّطَف: البِرّ والتّكْرِمَةُ، وهو أيضًا ما ألطفْتَ به أخاك ليَعْرِف برَّك، ولطَف له وبه: إذا رفَق، ولطُف: صغُر ودَقّ، واللطيف من الكلام: ما غَمُض معناه وخَفِيَ، ولُطْفُ الله تعالىٰ بعِبَاده: توفيقُه إياهم، وعصْمَتُهُم ممّا يَشِينُ، وفلان يلطف بفلان: إذا أراه مودّةً ورفْقًا في المعاملَة، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [**الكهف: ١٩**][(٢)]؛ فالمادّة تدور حول معاني الرّفْقِ، والصِّغَر، والدِّقَّة، والخفاءِ.

التلطيف في الاصطلاح: لم أَقِفْ – فيما لدَيّ من مصادِرَ – علىٰ تعريفٍ اصطلاحِيّ للتلطيف، ويُمكِنُ تَعْرِيفُه بأنّه: وظيفَةٌ أسلوبيّةٌ تهْدف إلىٰ تهْذيب العبارة وتخفيف حِدَّتِها، مع مراعاة لياقة التّعبير، وملاءمَتِه لمقام المخاطَب، من دون المساس بالمعنىٰ المقصود، أو بالمقاصد الشرعية والدلالية.

أمّا التّلَطُّفُ لُغَةً فتَفَعُّلٌ، مُشْتَقّ من الفِعْل: (تلَطَّف) يُقال: تلطّف فلانٌ للأمر وتلَطّف فيه: أي: تَرَفّق فيه، وعالَجَه بأدَبٍ، وتلَطّف فلانٌ في معالجة المشكلة، إذا

---

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٢٥٠.

(٢) يُنظر: تهذيب اللغة للأزهري، باب الطاء واللام، ١٣/ ٢٣٥، لسان العرَب لابن منظور، مادة: (لطف) ٩/ ٣١٦، وتاج العروس للزبيدي (لطف) ١٢/ ٤٨٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

عالجَها برفْقٍ، وتلَطَّفْتُ بفُلان: إذا احْتَلْتَ له حتّىٰ اطّلَعْتَ علىٰ أسراره[١]، والتّلَطُّفُ: التّخَفِّي والاحتيال، قال تعالىٰ: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩][٢].

أمّا التلطُّف[٣] في الاصطلاح فهو: إبدالُ الكلمةِ الحادّةِ بكلمةٍ أقلَّ حِدّةٍ، أو أكثَر قبولًا[٤]، بشرط أن يؤدِّي اللفْظُ الجديد المعنىٰ ذاتَه، أو قريبًا منه، مع مراعاة المقام.

وبِناءً على ما سبَق؛ فإنّ التلطيف تَفْعيلٌ، والتفعيلُ يَدُلّ في أصْل الاستعمال علىٰ إحداث الفعْل في غيْرِه، نحو: كلّم، وعلَّم، وأَثَّر، كما يدُلّ علىٰ التّعْدِيَة، والتكثير والتقوية؛ فيُقال: قوّىٰ، أي: أحْدث القوّة في غيرِه؛ فالتلطيف إحداثُ اللطْف في الخطاب أو المعنىٰ عمْدًا، وقصْدًا، أي: جَعْلُ الشيِ لطيفًا بعد أن لم يكُن كذلك.

أما التلطُّف فَتَفَعُّلٌ، والتّفَعُّلُ يدُل في أصل استعماله علىٰ التّكَلّف، كالتّهَجُّد؛ فإنّه لا يُقال إلّا لِمن تكلّف الاستيقاظَ مِن النّوْم، كما يدُلّ علىٰ التّدَرُّج، نحو: تَحَلَّم، وتَعَلَّم، ويُلاحَظُ أنّ التّلَطُّفَ صُدُورُ الفعل من الذّات؛ فَهُو تَخَلُّقُ المتكَلِّم باللّطْف في أسلوبه، أوْ سلُوكِه.

---

(١) يُنظر: أساس البلاغة (لطف) ٢/ ٦٩، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (لطف) ٣/ ٢٠١٢.

(٢) يُنظر: المعجم الاشتقاقي المؤصّل، أ.د/ محمد حسن جبل، ٤/ ١٩٧٧.

(٣) ذكَر الأستاذ/ علي بن عبد العزيز الراجحي أنّ التلطيف عُرِفَ في الدراسات الغربية الحديثة بِمَا تَرْجَمَتُه الحرْفِيَّةُ: (الكلام الحسَنُ) وتَرْجَمَه الدكتور/ كمال بشر بـ(حُسْن التعبير) وسمّاه الدكتور/ كريم زكي: (تحسين اللفظ)، والدكتور/ محمد علي الخولي: (لُطْف التعبير)، وعرّف ستيفان أولمان التلطيف بأنه: " وسيلة مقنعة بارعةٌ لتلطيفِ الكلامِ وتخفيفِ وقْعِه". التلطف في الأساليب العربية، صـ٧.

(٤) علم الدلالة، للدكتور/ أحمد مختار عمر، صـ٢٤٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثاني: الفرْقُ بيْن التلْطيفِ في اللغة، والتلطيفِ في الأدَب والقراءات.

مصطلح التلطيف مِن المصطلحات التي استعَمْلها اللغويُّون، والأدباءُ، وعلماء القراءات، أما التلطيف عند علماء اللغة فقد سبق بيانُه قريبًا، وأمّا الأدباء فالتلطيف عندهم كما ذكره أبو هلال العسكري:" أن تتلطّف للمَعْنىٰ الحسَن حتىٰ تُهَجّنه، والمعنىٰ الهجِينِ حتىٰ تُحَسِّنَه[١]".

وما ذكَره أبو هلالٍ قريبٌ من التلطيف اللغويّ، إلا أنّ الملاحَظ أنّ الكلام ذُو شِقَّيْن، أحدُهما التلطُّف لتحسين القبيح، والآخَرُ التلطُّفُ لتقبيح الحسَن، أمّا الأوّل فهو ما يتلاقىٰ مع موضوع هذه الدراسة، وهو ما يشيع استعمالُه في كتُب التفسير عندما يتعرّضون لتفسير آيةٍ ما.

أما القسم الثاني – وهو تحسين القبيح – فيمكن تلمّس وجْهٍ له في استعمال العرب؛ لأنّ مادة: (لطف) تدور حول الغموض والخفاء كما سبق، وتحْسين القبيح يُوصَل إليه عن طريق الغموض والخفاء، كقول يحيىٰ بن خالدٍ البرمكيّ لعبد الملك بن صالح: أنت حقودٌ؛ فقال عبدُ الملك: إن كان الحقْدُ عندك بقاءَ الخير والشّرّ؛ فإنهما عندي لَبَاقِيان؛ فقال يحْيَىٰ: " ما رأيتُ أحدًا احْتجّ للحقْد حتّىٰ حسّنَه غيرُك"[٢]؛ فانظر إليه كيف جعَل القبيحَ حسنًا بوجْهٍ من الخفاء.

وأمّا التلطيف في القراءات فهو التقليلُ، وهو مَرْتَبَةٌ بيْن الفتح والإمالة، وسُمِّيَ تَلْطِيفًا لأنّ القارِئَ لا يُميلُ إمالةً كُبْرَىٰ، بل يُلَطِّفُها حتىٰ تكون تقليلًا[٣].

---

(١) الصّناعتين لأبي هلال العسكري، صـ٤٢٧.

(٢) السابق نفْسُه.

(٣) يُنظر: الكامل للهُذَلِيّ، صـ٣٢٧، والكنز في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطي، ١/ ٣٠٣، والنشر لابن الجزري ١/ ٢٣، ٢/ ٧٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

قال الإمام الداني – ت: ٤٤٤هـ –:"وروىٰ نصير عن الكسائي ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ تلطيف النون منها لا يَكْسِرُها كَسْرًا شديدًا، ولا يفْتَحُها فتْحًا جافِيًا(١)".

ويُستَعْمَل التلطيف في القراءات أيضًا بمعْنَىٰ: تخفيف الهمزة، أو تسْهيلها، ومِن ذلك قول أبي القاسم الهذَلِيّ – ت: ٤٦٥هـ –: " ولا يَلْكُزَنّ الهمزة الساكنة حتىٰ تصير متحركة، ولا يُلَطّف المتحركة حتىٰ تصير ساكنة(٢)".

وخلاصَةُ الفرْق بيْن التلطيفَيْن: أنّ التلطيف في البلاغة معنَوِيّ دلاليّ، وأمّا في القراءات فهُو تلطيفٌ صوْتِيّ.

(١) جامع البيان في القراءات السبع، ٤/ ١٧٣٦.

(٢) الكامل للهذلي، صـ٩٦.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثالث: فوائد التلطيف والتلطف

يتبيَّن من تتبّع كلام البلغاء وأهل اللغة أنَّ للتلطيف جملةً من الفوائد اللغوية والبلاغية، أبرزها ما يأتي:

١- صيانة الحياء والذوق العام

إذ يُتَحرَّز به عن ذِكْرِ الفواحش السَّخيفة بالكنايات اللطيفة، ويُستبدَل اللفظُ المستقبح بما لا تجفو عنه الأسماع ولا تنبو عنه الطباع(١).

٢- العدول عن الألفاظ المنفِّرة إلى الألفاظ الحسنة

وذلك بِتَرْك ما يُتشاءم منه أو يُستقذر، إلىٰ ما هو أجملُ لفظًا وألْطَفُ معنًىٰ(٢).

٣- التلطيف سببٌ مباشر في اتّساع العبارات وكثْرة الألْفاظ والكنايات

إذ كان من عادة العرَب أنّ اللفْظَ إذا اشتهرَ وطار في الآفاقِ؛ عدَلُوا به إلىٰ الكناية(٣) القريبة من التصريح؛ لتكون أسْتَرَ وألْطَفَ؛ طلبًا للحياء، وبُعْدًا عن

---

(١) يُنظر: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء للجرجاني، صـ٤.

(٢) السابق نفْسُه.

(٣) تجدر الإشارة هنا إلىٰ أنّ الكناية أسلوبٌ بلاغيّ، يُقْصَد به التعبيرُ عن الشيء بغيْر لَفْظِه الصّريح، مع جواز إرادة المعنىٰ الأصليّ أو لازمٍ من لوازِمِه، مع وجود قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنىٰ الظاهر، وبِناءً عليه فإنّ الكناية قد تكون وسيلةً من وسائلِ التلطيف اللغويّ، وذلك عندما يُراد التعبيرُ عن أمرٍ مُسْتَكْرَهٍ أو شيءٍ يُسْتَحْيَا منه بلَفْظٍ غيرِ صريحٍ، كالملامسَة بدلًا من الجماع، ويُفْهَم من ذلك:أنّ التلطيف أعَمّ من الكناية وأوْسَع؛ فقد يتحقّق من دون الحاجة إلىٰ كنايةٍ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المجاهرة بالقبيح؛ فكثُرَتْ في كلامهم الكنايات، لا بقصْد الإكثار، بل فرارًا من القُبْح إلىٰ اللطْفِ[١].

٤- تعليل كثْرة الألفاظ الجنسية في المعاجم العربية

أكْثَرَت المعاجم اللغويّةُ من ذكْرِ هذه الألفاظ؛ طلبًا للتلطيف، لا قصْدًا إلىٰ المكاثَرَة، وقد رصَد بعضُ اللغويّين المعاصرين[٢] الألفاظَ الحميميّة التي تكون بيْن الزوْجَيْن؛ فوجَدَها في (القاموس المحيط) تَرْبُو علىٰ ألفٍ ومائتَيْ لفظَةٍ، جُلُّها من الكنايات؛ فتلمّس لذلك وجْهًا؛ فتَوَصّل إلىٰ أنّ العرَب كانت كثيرًا ما تُكَنّي عن هذا الأمرِ بلفظٍ ما؛ فإذا ما اشتهر هذا اللفظ وصار مبتذَلًا بيْن الناس؛ عدلوا عنه إلىٰ لفظٍ آخر، وهكذا حتىٰ وصَل الأمْرُ إلىٰ هذه الكثرة الكاثرة في المعجم العربي[٣].

٥- التوسّع في اللغة وتكثير مواردها؛ فالتلطيف باب من أبواب التفنّن في الألفاظ والعبارات، يُنشئ في العربية بدائلَ متعدّدةً للمعنىٰ الواحد؛ فتتكاثَرُ الألفاظُ في المعاجم، وتُثْمِرُ زيادةَ الفصاحة والبيان[٤].

---

(١) يُنظر: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء للجرجاني، صـ٤. قال أبو حيّان التوحيديّ: "حدّثني ابن فارس: جرىٰ بيْن يدَيْه أسماءُ الفَرْج وكثْرَتُها؛ فقال بعض الحاضرين: ماذا أرادَتِ العرَبُ بتكثيرها مع قُبْحِها؟ فقال: لمّا رأوا الشيء قبيحًا؛ جعَلُوا يُكَنُّون عنه، وكانت الكناية عند فشوِّها تصير إلىٰ حدِّ الاسم الأول؛ فينتقلون إلىٰ كناية أخرىٰ؛ فإذا اتّسعت أيْضًا؛ رأوا فيها من القبح مثل ما كَنُّوا عنه من أجْلِه، وعلىٰ هذا؛ فكثرت الكنايات، وليس غرضُهم تكثيرَها". مثالب الوزيرين، صـ٣٨٧.

(٢) هو الدكتور/ عمر فروخ، وذكَر ذلك في كتابه: (عبقرية اللغة) كما سيأتي.

(٣) يُنظر: عبقرية اللغة، صـ٥٧.

(٤) يُنظر: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء للجرجاني، صـ٥.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الفصل الأول: أثرُ القراءات في في التلطيفِ بيْن الزوجين

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التلطيف بالتغاضي بيْن الزّوْجيْن

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]وقد اختلف القراء في كلمة: (عرف) علىٰ قراءتيْن:

القراءة الأولى: ﴿عَرَّفَ﴾ بتشديد الرّاء، وبها قرأ القُرَّاء العشرة ما عدا الكسائيَّ.

القراءة الأخرى: ﴿عَرَفَ﴾ بتخفيف الرّاء، وبها قرأ الكسائيُّ وحْدهُ(١).

أما قراءة الجمهور: ﴿عَرَّفَ﴾ فتُشير إلىٰ أنّ النبيّ ﷺ عرَف كلّ ما كان قد أَسَرَّهُ إلىٰ إحدىٰ زوجاته فأفْشَتْهُ؛ فعَرَّفَها بعضَ ما أفشَتْ، وجازاها عليه، وسكَت عن بعضِهِ، تكَرُّمًا منه ﷺ(٢).

وأمّا قراءة الكسائيّ: ﴿عَرَفَ﴾ فمعناها: جازَىٰ، كما يقول الرّجُلُ لصاحبِه: عرفتُ ما عمِلْتَ، ولأعَرِّفَنّك ما فعلْتَ؛ فمعْنَىٰ قولِه: (ولأُعَرِّفَنَّك) لأُجَازِيَنَّك(٣).

في هاتَيْن القراءتَيْن تلطيف لغويّ بليغٌ، يتناسب مع المقام النبوي الكريم، ويعبّر عن حكمة المعالجة النبوية ولِينِ الجانب، ويكشف عن تعدُّد مستويات الخطاب وأبعاده النفسية والأدبية، وفيما يأتي بيانُ ذلك:

أولا: قراءة الجمهور: ﴿عَرَّفَ﴾ معناها: أنّ النبي ﷺ أظهر بعْض ما أوحِي إليه

---

(١) السبعة لابن مجاهد، صـ٦٤٠، والنشر لابن الجزري ٢/ ٣٨٨.

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٢، وإيجاز البيان عن معاني القرآن، ٢/ ٨٢٢.

(٣) يُنظر: معاني القرآن للفراء، ٣/ ١٦٦، والحجة لابن خالويه، صـ٣٤٨، ومعاني القراءات للأزهري، ٣/ ٧٦، وأساس البلاغة للزمخشري ١/ ٦٤٥، وإيجاز البيان ٢/ ٨٢٣.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مِن خبَر الحديث، وأمْسَك عن بعضه، علىٰ وجْهٍ يتّسِم بالحكمة والرفق في معالجة ما كان من زَوْجِه(١).

وقراءة: ﴿عَرَّفَ﴾ في هذه القراءة من باب التفعيل الدّالّ علىٰ التّسبّبِ في المعرفة، لا علىٰ مجرّد الإخبار المباشر؛ ولهذا قال البيضاوي: " لكنَّ المشَدَّد من باب إطلاق اسم المسبب علىٰ السبب، والمخَفّف بالعكس(٢)" وهو يعني بالمشدّد قراءة الجمهور، وبالمخفّف قراءة الكسائي.

ويُفْهَم مِن صِيغَة التّفْعيل أنّ النبي ﷺ أشعر زوجَتَه ببعض الأمر إشعارًا غير صريح؛ إذ أراها طرفًا مما ترتّب علىٰ الفعل، مِن دون أن يواجهها بجميع ما عَلِمَه(٣)؛ فهو بيان جزئيّ، مقصود به الإشفاق والتلطف، لا الكشف التامّ، وفي هذا الأسلوب ما ينسجم مع المقام النبوي الشريف؛ لما فيه من الإيماء اللطيف بدل المواجهة المباشرة.

وقد نبّه الأستاذُ المراغيُّ – رحِمَه الله – إلىٰ ما يفيدُه هذا الأسلوبُ من التلطّف في العتاب الزوجي، وترك الاستقصاء في تتبّع الهفوات؛ وهو أدَبٌ رفيع دَلّتْ عليه الآية في معرض معالجة موقفٍ عائليٍّ دقيق.

يقول – رحِمَه الله–: ومنها: " أنه يَحْسُن التّلطّف مع الزّوْجات فِىْ العَتْب، والإعراضُ عن الاستقصاء في الذّنب(٤)".

وقوله تعالى: ﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾ [التحريم: ٣] جاء تتميمًا لهذا النهج التربوي؛ إذ بيّن سبحانه أنّ النبي ﷺ أعرض عن بعض ما علم، محافظةً علىٰ الستر، ورعايةً

(١) يُنظر: الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ٣٢٦، والمحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٣٣١، والجواهر الحِسان للثعالبي ٥/ ٤٥١.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ٢٢٤.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ٢٣/ ٤٨٢.

(٤) تفسير المراغي ٢٨/ ١٥٨.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

لجانب الإحسان في التعامل؛ إذ " ما زال التّغافلُ من فِعْلِ الكرام[١]" ومن أساليب تهذيب الخطاب دون إخلالٍ ببيان الحقيقة.

ثانيًا: قراءة الكسائيِّ: ﴿عَرَفَ﴾ ليس معناها: (علِمَ) إذ إنّ ما يُعلِمه اللهُ تعالىٰ نبيَّه ﷺ يكون عِلْمًا مُحيطًا لا يخفىٰ معه شيء؛ فيتعيّن حملُ الفِعْل هنا علىٰ معنىٰ المجازاة، وهو معنىٰ ثابتٌ في لسان العَرَب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢١٥] أي: مُجازٍ عليه[٢].

وعلى هذا يكون مدلول القراءة: أنّ النبي ﷺ كان علىٰ علمٍ تامٍّ بما وقع، إلّا أنّه قابل بعض الفعل بما يناسبه من الجزاء، وأعرض عن بعضه إعراض أهل الحِلم؛ إذ لا يكون الإعراض إلا عمّا ثَبَت العِلْمُ به، وهذه الدلالة تَنسَجِم مع هَدْيِه ﷺ في معاملة أهْلِه بالرفق، وترك الاستقصاء في دقائق أحوالهم[٣].

وفي هذا الاستعمال تتبدّىٰ لمحة دقيقة من التلطيف القرآني؛ فاستعمالُ ﴿عَرَفَ﴾ في معنىٰ (جازىٰ) يُشعِر بأنّ النبي ﷺ لم يُظهِر لزَوْجَتِه جميع ما عَلِم، بل اكتفىٰ بمجازاة بعض الأمر، وتَرْك بعْضه سترًا وكرمًا، وهو أرقّ في التعبير من أن يُصرّح القرآن بالمواجهة أو بالمحاسبة التامة، وقد ذُكر عن بعض السلف أنّ جزاءه في هذا الموطن كان العقوبةَ أو الطلاقَ[٤].

---

(١) نقَل كثيرٌ من المفسرين هذه الكلمةَ في أثناء تفسير الآية موضع الدراسة، منسوبَةً إلىٰ سفيان الثوري. يُنظر علىٰ سبيل المثال: معالم التنزيل للبغوي ٥/ ١١٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/ ١٨٧، والتحرير والتنوير ٢٨/ ٣٥٣. ولم أجِدْهُ في كتُب الأمثال.

(٢) يُنظر: الكشف لمكّي بن أبي طالب ٢/ ٣٢٥.

(٣) يُنظر: حاشية الطِّيبي علىٰ الكشاف ١٥/ ٤٩٧.

(٤) يُنظر: جامع البيان للطبري ٢٣/ ٤٨٢، والمحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٣٣١، والدر المصون ١٠/ ٣٦٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ويشهد لهذا المسلك الدلالي قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٦٣]؛ إذ دلّ العلمُ على ترَتُّب الجزاء أو الإعراض بحسب الحكمة، وهو نظيرُ ما تشير إليه قراءة الكسائي من العلم الكامل مع الإعراض المقصود(١).

والخلاصَةُ: أنّ التلطيف في هذه القراءةِ يَظْهَر بجلاء في ثلاثة أشياء، هي:

١- تلطيفُ التعبير عن المواجهة؛ إذ كان معْنَىٰ: ﴿عَرَفَ﴾ (جَازَىٰ)، وهذا من ألْطَف الأساليب؛ لأنه يُكَنّي عن المواجهة الصّريحة، ويُوهِم القارئَ بالعِلْم، بيْنما أُريدَ الجزاءُ، وهذا هو عيْنُ التلْطيف.

٢- تلطيفُ المعامَلَة؛ إذ جازَىٰ النبي ﷺ علىٰ بعْضٍ، وأعْرَض عن بعضٍ، وهذا إظهار واضح للتغافُل والسّتْر، وهو تلطيفٌ في المعنىٰ والسياق.

٣- تلطيف بِنْيَةِ التّركيب القرآنيّ؛ إذ اسْتُعْمِلَتْ كلمة: ﴿عَرَفَ﴾ بدلًا من (جازَىٰ) أو (عاقَبَ) وهي أخَفُّ منهما وألْطَف من حيثُ الصّوتُ والدلالةُ.

وفي ضوء ما تكشفُه هاتان القراءتان من إشعارٍ دون مواجهة، وتغافلٍ دون تفريط، وستْرٍ دون إهمالٍ للحق، يتجلّىٰ بوضوح أنّ الخطاب القرآنيّ يرسم منهجًا عمليًّا لإدارة الخلاف بيْن الزوجين في واقعنا المعاصر أيضًا؛ فالعلاقة الزوجية لا تُصْلِحها المواجهات الحادّة، ولا تتبّعُ الزلات، بل يقوم استقرارها علىٰ التلطّف في العتاب، والاكتفاء بالتنبيه الرقيق، وتجاوز ما لا يترتّب عليه ضرر.

وهكذا يقدّم الأسلوب القرآني نموذجًا تربويًّا راقيًا في حِفْظ المودة، وصَوْن الكرامة، ومعالجة الأخطاء بما يحقّق الحكمة والسكينة داخل الأسرة.

(١) يُنظر: الكشاف للزمخشري ٤/ ٥٦٥، ومفاتيح الغيب للرازي ٣٠/ ٥٧٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثاني: التلطيف في التعْبير عن غشْيان الرّجُلِ امرأتَه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القراءات الواردة في كلمة: ﴿لَمَسْتُمُ﴾

مِن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] و[المائدة: ٦].

اختلَف القراء العشرة في كلمة: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ في الآيتَيْن، على قراءتين متواترتَيْن:

الأولى: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ بإثبات الألف بعد اللام، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وأبي جعفر ويعقوب

الأخرى: ﴿لَمَسْتُمْ﴾ بحذف الألف، وبها قرأ حمزةُ والكسائي وخلَف العاشر(١).

توطئَةٌ بيْن يدَيْ هذا المبحث:

يُعَدّ التلطيفُ اللغويّ في الخطاب الشّرْعِيّ أحَدَ أبرز الوسائل التي عُنِيَ بها القرآن الكريمُ في تنظيم العَلاقة بيْن الزّوْجَيْن، وصيانة قدسيّتها، وتهذيب ألفاظها؛ إذ يُعبِّر عن أدقّ المعاني وأخصّها بأرقّ الأساليب وأعفّها، وها هي ذي سورة يوسف عليه السلام تُصَوّر ما حرَصَتْ عليه امرأتُ العزيز، وبذَلَتْ فيه ما وسِعَها، ولم نجِدْ في السورة كلمةً واحدةً تخدش الحياء.

وقد نبّه المبرّد وغيرُه إلىٰ هذا المنهج البليغ الذي عُنِيَ به كتابُ الله تعالىٰ أشدّ عنايةً؛ حيث يقول: "ويكون من الكناية، وذاك أحسَنُها: الرغبةُ عن اللفظ الخسيس المفحِش، إلىٰ ما يدلّ علىٰ معناه من غيره" مستشهدًا بقوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧] (٢).

---

(١) يُنظر: السبعة لابن مجاهد، صـ٢٣٤، والنشر لابن الجزري ٢/ ٢٥٤.

(٢) الكامل للمبرّد، ٢/ ٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

كما بيّن أحمد بن محمد الجرجانيُّ سِرَّ هذا الأسلوب؛ حين قرّر أنّ الكنايات إنّما وُضعت للتعبير عن الأفعال المستترة "تنزّهًا لإيرادها علىٰ جهتها"، وأن الحاجة إلىٰ ستر أقوالها كالحاجة إلىٰ ستر أفعالها(١).

ولذلك كنّىٰ القرآنُ الكريم عمّا يكون بيْن الزوجَيْن بألفاظ رفيعةٍ، مثل: السِّرّ، والحرث، والملامسة، والإفضاء، والدخول، والرّفث(٢)؛ محافظًا بذلك علىٰ كرامة الطّرَفَيْن، وخصوصيّة العلاقة بيْنهما، ومؤسِّسًا لخطابٍ زوْجيّ لطيفٍ مهذّبٍ، يجْمَع بيْن حقيقة الشّرْع، ورُقِيّ البيان.

أوّلا: قراءة: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ جاءت علىٰ صيغة: (فاعَلَ) الدالّةِ في أصلها اللُّغَوي علىٰ المشاركة بيْن طرَفَيْن، وهو معنىٰ ينسجم مع كناية الجماع أو ما دونه من اتّصال البشَرَةِ، كما ورد عن ابن مسعود – رضي الله عنه – والشافعيِّ(٣).

وقد اعتمد الشافعية هذه القراءة في تقرير أن مجرد لمس المرأة ينقض الوضوء، بناءً علىٰ أن المفاعلة تُفيد أدنىٰ درجات الاتصال(٤).

ولما كانت المشاركة هي الأصل في هذا الباب، فسّر العلماء اللفظة علىٰ أنها تُصوّر ملامسةً متبادلة بين الزوجين(٥)، وهو ما يجعل اختيار القرآن صيغةَ: ﴿لَمَسْتُمُ﴾بدلًا من: (أفضيتم) التي وقَعتْ في آيةٍ أخرىٰ(٦) توجيهًا مقصودًا نحو

---

(١) المنتخب من كنايات الأدباء للجرجاني، صـ٥.

(٢) وممّا ثبَت عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في هذا الصّدَد قولُه: " الغشيان واللمس والإفضاء والمباشرة والرفث هو الجماع، ولكن الله حيي كريم يكني بما شاء ". تفسير ابن المنذر ٢/ ٦٩٢، وتفسير الماتريدي ٣/ ٤٧٣، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٢٤.

(٣) يُنظر: روح المعاني للآلوسي٣/ ٤١.

(٤) يُنظر: الحاوي للماوَردي، ١٦/ ١٦٩، ونهاية المطلب للجويني، ١/ ١٢٥.

(٥) يُنظر: حجة القراءات لابن زنجلة، صـ٢٠٥.

(٦) وهي قولُه تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾[النساء: ٢١].

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

التلويح دون التصريح؛ التزامًا بأدب الحياء، كما قرره ابن عباس – رضي الله عنهما – بقوله: "إنّ الله حَيِيّ كريم، يعفو ويُكَنِّي[١]".

أما التّلطيف اللغوي الذي تَنطَوِي عليه هذه القراءة فيُمكن إظهاره في ثلاثة محاور رئيسة:

١- **التوسّع الدلالي:** حيث إنّ استعمالَ كلمة: ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ للدلالةِ علىٰ حَالَتَي الجماع واللمس، يُعَدُّ تلطيفًا بالمعنىٰ؛ لأنه يجنّب التصريح المباشر بالجماع، ويترك مساحةً للتفسير الأدنىٰ – وهو مجرّد اللمس – فيتَحَقّقُ الجمع بيْن الدلالة الشرعية، والتهذيبِ اللغوي[٢].

٢- **الكناية الرقيقة**[٣]: حيث كنّىٰ عن الجماع بـ: ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ بدلًا من لفْظ الجماع الصّريح، تُظهر لُطْفًا بلاغيًا ورِفقًا في عَرْض الموضوع الحميم، مع مراعاة أدَب العفّة والطهارة، وهذا جوهر التلطيف اللغوي في القرآن الكريم، والله تعالىٰ حَيِيّ كريم، يعفو ويُكَنّي عن الجماع بالملامسة[٤][٥].

٣- **مناسبة السياق:** فوُرُودُ كلمة: ﴿لَٰمَسۡتُمُ﴾ في سياق الحديث عن (الجنابة، قضاء الحاجة) وقُرْبُها من كلمة: ﴿ٱلۡغَآئِطِ﴾ وكُلّ هذه الكلمات ممّا يُسْتَحْيَا من التّصريح بها؛ يعْكِسُ تلطيفًا سياقيًا؛ حيث يُراعي الموقف الاجتماعي والأخلاقيّ، من دون إفصاح فاحشٍ[٦].

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٠/ ٨٩.

(٢) يُنظر علىٰ سبيل المثال: التجريد للقدوري ١/ ١٧٣، الحاوي للماوَردي، ١٦/ ١٦٩، ونهاية المطلب للجويني، ١/ ١٢٥، وشرح التلقين للمازري المالكي ١/ ١٨٥، والكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة ١/ ٨٩.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ٨/ ٣٩٠.

(٤) يُنظر: المنتخب من كنايات الأدباء للجرجاني، صـ٦، ومفاتيح الغيب للرازي ١٠/ ٨٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٢٣.

(٥) المنتخب من كنايات الأدباء للجرجاني، صـ٦.

(٦) يُنظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود، ٢/ ١٨٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

القراءة الأخرى: ﴿لَمَسْتُمْ﴾

ورَدَتْ قراءة: ﴿ لَمَسْتُمُ ﴾ بالفعْل الثلاثيّ المجرّد (لَمَسَ)، وهو في أصل دلالته يدلّ علىٰ اللّمْسِ الحسّيّ من طرفٍ واحد، من دون إفادة المشاركة، بخلاف صيغة المفاعلة في قراءة: ﴿لَامَسْتُمْ﴾ وقد اختلف العلماءُ في توجيه هذه القراءة؛ فحملها بعضُهم علىٰ الجماع علىٰ جهة الكناية، وحمَلها آخَرون علىٰ معْنَىٰ اللّمْس الحقيقيّ بالْيَد، وجعلوا إطلاقها علىٰ الجماع مجازًا؛ التزامًا بأصل الحقيقة.

ويُفهم من هذا الخلاف أنّ قراءة: ﴿لَمَسْتُمْ﴾ أبْعَدُ دلالةً عن التصريح بالجماع من قراءة: ﴿لَامَسْتُمْ﴾، ومِن ثمَّ فإنّ درجة الإيحاء فيها أقلّ، غير أنّ ذلك لا ينفي اشتمالها علىٰ تلطيفٍ لغويٍّ قرآنيّ، يتجلّىٰ في العدول عن اللفظ الصريح إلىٰ لفظٍ مُجملٍ يُفهَم المرادُ منه بالسياق دون مواجهة لفظية مباشرة(١).

ويُمكن إبراز التلطيف في هذه القراءة من خلال ثلاثة أوجُه رئيسة:

أولها: التلطيف البلاغي الكِنائيّ القائم علىٰ استعمال لفظٍ يُراد به لازمُ معناه، وهو من الأساليب المعهودة في تهذيب الخطاب، والتلطيف في هذه القراءة أقَلُّ منه في القراءة الأولىٰ(٢).

وثانيها: التلطيف الدلالي، المتمثّل في اختيار لفظٍ ذي سَعَة دلالية يحتمل المعنىٰ الحقيقي والمُكنّىٰ عنه؛ فيُخَفِّفّ حدّة المعنىٰ، ويجْتَنِب التصريح(٣).

وثالثها: التلطيف السياقي التشريعي؛ لوقوع اللفظ في سياق بيان أحكام الطهارة، وهو مقام يقتضي مراعاة الأدب والحياء في التعبير.

---

(١) يُنظر: معاني القراءات للأزهري، ١/ ٣١٠.

(٢) لأنّ الأولَىٰ أشَدّ دلالة علىٰ الجماع من هذه. يُنظر: أنوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ٧٦.

(٣) يُنظر: الكشاف للزمخشري ١/ ٢٣٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المطلب الثاني: القراءات الواردة في كلمة: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾

وردت كلمة: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ في ثلاثة مواضع، هي قوْله تعالىٰ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[البقرة: ٢٣٦] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[البقرة: ٢٣٧] وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

اختلف القراء العشرة في كلمة: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ في مواضعها الثلاثة على قراءتَيْن:

القراءة الأولى: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ بضَمّ التاء وفتْح الميم وألف بعدها، مع إشباع المدّ، وبها قرأ حمزة والكسائيُّ وخلف العاشر.

القراءة الأخرى: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ بفتْح التاء والميم وحذْف الألف بعدها، وبها قرأ بقية القراء العشرة(١).

أمّا قراءة: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ فمُشتَقّةٌ من الثلاثيّ المزيد: (مَاسَّ)، الدالّ علىٰ صيغة المفاعلة، والأصلُ في هذه الصيغة أنّها تقتضي المشاركة بيْن اثنين في وقوع الفعل، وبناءً علىٰ ذلك، تدلّ كلمة: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ علىٰ أنّ الفعْلَ مُتبَادَلٌ بيْن الطّرفَيْن، وهما: الرجل والمرأة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ [المجادلة: ٣]، وهو ما يُوحي بأنّ الاتصال الجسديّ بيْن الزوجين لا يقع بإرادةٍ أُحاديّةٍ من طرفٍ واحد، بل يحصل بتشاركٍ وتفاعلٍ بينهما(٢).

ولهذا السّبَب كانت هذه القراءة أدقَّ في التعبير عن حقيقة الجماع من حيث طبيعتُه؛ إذ إنّه يقع من الرجل مباشرةً، ومن المرأة تمكينًا واستجابةً(٣)؛ فصحّ إطلاق

(١) يُنظر: السبعة لابن مجاهد، صـ١٨٣، والنشر لابن الجزري ٢/ ٢٢٨.

(٢) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي ٢/ ١٨٨، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣١٨.

(٣) يُنظر: الدر المصون ٢/ ٤٨٦.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المشاركة عليه من الجانبين، وهو ما تنقله صيغة المفاعلة نقلًا دلاليًّا لَطِيفًا، مِن دون إخلالٍ بالمقصود الشرعيّ.

ومِن جهة التّلطيف؛ فإنّ هذه القراءة تتّسم بقدرٍ واضحٍ من التلطيف البلاغيّ الدلاليّ؛ وذلك لعدم تصريحها بفعل الجماع تصريحًا مباشرًا، وعدُولها عن اللفظ الصّريح إلىٰ التعبير عنه بلفظ: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ الذي يُوحي بالملامسة المتبادَلة، لا بالتصريح بالفعْل ذاته[(١)]، وهذا الأسلوب قائمٌ علىٰ الإيحاء بدلًا من المكاشفة، وهو من مسالك البلاغة القرآنيّة في صيانة الخطاب عن الفظاظة.

أمّا قراءة الجمهور: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ فمِن الثلاثيّ المجرّد (مَسَّ)، وهو في أصل دلالته يدلّ علىٰ الإصابة أو المباشرة باليَد أو الجسد، وتفيد صيغَتُه إسناد الفعل إلىٰ جهةٍ واحدة، وهي في الغالب جِهَةُ الرجل، علىٰ نحو ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [مريم: ٢٠] [(٢)]، وهذا الإسناد ينسجم مع ما استقرّ عليه الاستعمال العربيُّ، وما ذهب إليه كثير من المفسّرين من نِسْبَة الجماع إلىٰ فِعْلِ الرّجُل من حيث المبادَرَةُ والطّلَبُ.

وأمّا التلطيف اللغويّ في هذه القراءة، فإنّه أخفىٰ مِنْهُ في القراءة الأولىٰ، ويتحقّق من خلال الكناية؛ إذ عُبِّر عن الجماع بلفظ (المسّ)، وعُدِل عن التصريح بالفعل إلىٰ التلميح إليه؛ محافظةً علىٰ الحياء والسِّتر، ومجانبةً للمباشرة اللفظيّة؛ فقوله تعالىٰ: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ ينطوي علىٰ كناية مهذّبة عن الجماع[(٣)]، تُفهِم

(١) يُنظر: نظم الدرر ١٩/ ٣٥٠.

(٢) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ١١٨، والكشف والبيان للثعلبي ٢/ ١٨٨، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٣١٩.

(٣) يُنظر: لباب التأويل للخازن ١/ ١٧١، والبحر المحيط ٨/ ٤٨٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المعنىٰ المقصود، مِن دون كشفٍ أو تجسيد(١)، وهو أسلوبٌ مألوفٌ في لسان العرب، نزل به القرآن الكريم مراعيًا دقائق الأدب والذّوْق.

ومِن خلال الموازنَة بيْن القراءتَيْن؛ نرَىٰ أنّ قراءة الجمهور: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ تقتصر في تلطيفها علىٰ الكناية اللفظيّة، وهو تلطيفٌ صحيحٌ في ذاته، غير أنّه أضْيَقُ وأخفىٰ أثرًا.

أمّا قراءة حمزة ومَن وافقَه: ﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾ فتجْمَع بيْن الكناية والإيحاء بالمشاركة، والتلطيف القائمِ علىٰ صيغة المفاعلة؛ فهِي أقربُ إلىٰ التلطيف والتلطّف من قراءة الجمهور، وأقوىٰ في تحقيق الستر واللطف الدلاليّ.

وبِنَاءً عليه؛ فإنّ قراءة الجمهور تظلّ محتفظةً بقدرٍ من التلطيف البلاغيّ، غير أنّ القراءة الأخرىٰ أبلغُ في هذا الباب؛ لاجتماع وجوه التلطيف فيها، بينما اقتصر التلطيف هنا علىٰ وجهٍ واحدٍ فقط.

(١) كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ...﴾ [النساء: ٢١]، وقوله سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ...﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ...﴾ [البقرة: ١٨٧].

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثالث:

أثرُ القراءات في تلطيف العبارة في مقام نهْي الزوجَيْن عن الإضرار ببعضهما، أو بولَدِهما.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[البقرة: ٢٣٣].

اختلف القُرّاء العشرة في كلمة: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ على ثلاث قراءات على النحو الآتي:

القراءة الأولى: ﴿لَا تُضَارُّ﴾ برفْع الراء مشدَّدةً، وبها قرأ ابن كثير، وأبو عمرٍو، ويعقوبُ.

القراءة الثانية: ﴿لَا تُضَارْ﴾ بتسكين الراء مشدَّدةً، وبها قرأ أبو جعفرٍ وحْدَه.

القراءة الثالثة: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ بنصْب الرّاء مشدَّدةً، وبها قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلَف العاشر(١).

أمّا قراءة ابن كثير وأبي عمرٍو: ﴿لَا تُضَارُّ﴾ فمرفوعةٌ عطْفًا علىٰ قولِه تعالىٰ قبْلَها: ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ﴾، وهي جُملَةٌ خبَرِيَّة لفظًا، إنشائِيّة معنًىٰ(٢)، وأصْلُ الفعْل: (تُضَارِرْ) بفتْح الرّاء؛ فأُدغِمَت الراء الأولىٰ في الثانية(٣).

والفعْلُ: ﴿لَا تُضَارُّ﴾ في هذه القراءة يحتَمِل أن يكون مبنِيّا للمعلوم: (لا تُضَارِرْ) والمعنىٰ: لا تُضَارِرِ الوالدةُ الوالدَ أو الصّبِيَّ، وأن يكون مبنيّا للمفْعُول، والمعنىٰ: لا تُضَارَرِ الوالدةُ أو الصّبِيُّ(٤).

---

(١) يُنظر: السبْعة لابن مجاهد، صـ١٨٣، والمبسوط لابن مهران، صـ١٤٦، والنشر لابن الجزري ٢/ ٢٢٧.

(٢) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٤٧، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٣١٣، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ٣٧٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣/ ١٦٧.

(٣) يُنظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣١٣، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٧٨.

(٤) يُنظر: معالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٧٨، والكشاف للزمخشري ١/ ٢٨٠، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣١٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وفي هذه القراءة نَهيٌ لكلٍّ من الزوجَيْن عن أن يُضِرّ كلُّ واحد منهما ولَدَه؛ فلا تُكَلَّف الأمُّ فوق طاقتها، ولا تُفَرِّط في حفْظ ولَدِها، ولا يُقَصّر الوالدُ في النّفقة والكِسْوَة؛ قصْدًا منه أن يضُرّها وحْدها، أو يضُرّهما معًا، وليس له أيضًا أن يَنزِع الولد من أمِّه من دون سبَبٍ(١).

وقد انطوَتْ هذه القراءةُ على بعض مظاهر التلطيف اللغوي، ومن أهَمِّها ما يأتي:

١- كوْنُ الجملة خبريَّةً لفظًا، نهْيِيَّةً معنًى(٢)؛ إذ وقَع النهيُ في صورة الخبر، وهو أسلوبٌ أَلْطَفُ بلاغيًّا من النهي الصّرِيحِ؛ لأنّ الخبر أَلْيَنُ في السّمْع من النّهْي، وأبعد عن حدّة الزجر، مع بقاء الدلالة علىٰ المنع. وهذا تلطيف بلاغيّ أسلوبيّ قائم علىٰ العدول من الإنشاء إلىٰ الخبر؛ لكَوْنِ النّهْيِ في صورة الخبر أبلغَ في المنْع(٣).

قال الزمخشريُّ: " فإن قُلْتَ: كيف قيل: ﴿بِوَلَدِهَا﴾ و﴿بِوَلَدِهِۦ﴾؟ قلتُ: لما نُهِيَتِ المرأة عن المضارة؛ أضيف إليها الولَدُ؛ استعطافا لها عليه، وأنه ليس بأجنبيّ منها؛ فمِن حَقِّها أن تُشْفِق عليه، وكذلك الوالد(٤)".

---

(١) يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي ٦/ ٤٦٢.

(٢) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٨٨، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٧٩، والتفسير الوسيط للواحدي ١/ ٣٤٢، وتفسير الراغب صـ٢٤٦، والكشاف للزمخشري ١/ ٢٨٠، وعمدة الحفّاظ ٢/ ٣٧٥.

(٣) ومِن مواضِع وقوع الخبر بمعنىٰ النّهْي: قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ومنه أيضًا قولُه تعالىٰ: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]. يُنظر: التحرير والتنوير ٣/ ٧٢، وفيض الباري علىٰ صحيح البخاري ٣/ ٧٠، ومِنه ما ورَد في الحديث الصحيح: (ولا يبيعُ الرجل علىٰ بيْع أخيه) برفْع الفِعْل وجَزْمِه؛ فالرفع علىٰ كوْنِه خبرًا بمعنىٰ النهي، والنّهْيُ في صورة الخبر أبلغ في المنع. يُنظر: المنهل الحديث في شرح الحديث، للأستاذ الدكتور/ موسىٰ شاهين لاشين، ٢/ ٢٥٨، ويُنظر أيضا: الدر المصون ٢/ ٦٧٦.

(٤) الكشّاف ١/ ٢٨٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٢- تَرْكُ المواجَهَة المباشِرَةِ بالنّهْي؛ فلم يُوجَّه الخطابُ بصيغة: لا تُضَارِر والدةٌ، بل جاء علىٰ صورة نفيٍ عامّ[١]، مُرادٍ به الأمْرُ[٢]، وكأنّ الضرر منفيٌّ عن شريعة الله وأخلاق المؤمنين أصلًا[٣]، وهذا من التلطيف الدلاليّ؛ لما فيه من تهذيب الخطاب وتخفيف حِدّته.

٣- عموم المعنىٰ في الرّفْع، باحتمال البناء للمعلوم وللمفعول معًا[٤]؛ فيتوجّه النّهْيُ تارةً إلىٰ الأبوين عن إيقاع الضرر، وتارةً إلىٰ منع وقوع الضرر بهما أو بالولد، وهذا الاتّساع يُخفِّف التخصيص والمواجهة، ويجعل الخطاب أعمَّ وألطف، وهو تلطيف دلاليّ قائم علىٰ الاحتمال والعموم.

قال البيضاويّ: " وإضافة الولد إليها تارةً وإليه أخرىٰ؛ استعطاف لهما عليه، وتنبيه علىٰ أنه حقيق بأن يَتَّفقا علىٰ استصلاحه والإشفاق [عليْه[٥]] فلا ينبغي أن يُضِرَّا به[٦]".

٤- التلطيف السياقي؛ إذ انتظمتْهذه القراءة مع قوله: ﴿ **لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[٧] في سياقٍ واحدٍ قوامه الرحمة ورفع الحرج وتنظيم العلاقة بين الأبوين، وهذا التشاكل السياقيّ أدخَلُ في التّلْيين، وأبعد عن صيغة النهي الجافّة، وسبَبُ ذلك:

---

(١) يُنظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١/ ٢١٧.

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز لابن عطية١/ ٣١٢، والجامع لأحكام القرن للقرطبي ٣/ ١٦٧.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٤٦.

(٤) يُنظر: معالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٧٨، والكشاف للزمخشري ١/ ٢٨٠، ونظم الدرر ٣/ ٣٣٤.

(٥) أضفْتُ هذه الكلمةَ مراعاةً للسّياق.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ١٤٤.

(٧) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٤٧، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٣١٣، وبحر العلوم للسمرقندي ١/ ١٧٩، والتفسير الوسيط للواحدي ١/ ٣٤٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

" أنّ كلّ واحدٍ منهما يسْتَحِقُّ أن يُنسَب إليه، مع ما في ذلك من الاستعطاف[١]". وهو تلطيفٌ سياقيّ بلاغيّ.

وأما قراءة أبي جعفر: ﴿لَا تُضَارْ﴾ بتشديد الراء ساكنةً، فالأصْلُ فيها: (لَا تُضَارِرْ) بزِنَةِ: تُفَاعَل، أو تفَاعِل، فأُدغِمَت الراء الأولىٰ في الثانية فصارتْ: ﴿لَا تُضَارْ﴾ وأسكِنَت الراء تخفيفًا، أو إجراءً للوصْلِ مُجْرىٰ الوقْف، أو علىٰ نيّة الوقْف؛ لأنّ الفعْلَ مجْزُومٌ بـ﴿لَا﴾ النّاهية، والوقف علىٰ المجزوم يكون بالسّكون؛ فاعتُبِر الوقفُ ولو كان الكلام موصولًا[٢].

والفعل في هذه القراءة يحتَمِل البناء للمعلوم، والبناء للمفعول أيضًا؛ فعَلىٰ البناء للمعلوم يكون النّهْيُ مُوَجَّهًا للوالِدَيْن عن الإضرار؛ فلا ينبَغِي للأمّ أن تمْتَنِع عن الإرضاع إضرارًا بالولَد، ولا ينبَغِي للأب أن يُضَارَّ الوالدةَ بولَدِها، سواء انتزَعَه منها بغير رضاها، أو قصّر في النّفَقة والكسوة[٣].

وعلىٰ البناء للمفعول يشْمَلُهما النّهْيُ أيضا، كما سبَق بيانُه في القراءة السابقةِ، وهذا من أساليب القرآن في توجيه الخطاب للطّرَفَيْن مِن دون إطالةٍ.

وهذه القراءة تفيد قوّةَ النّهْي مِن دون شِدّة اللفظ؛ فكأنّ السكون يُوقِف السامع عند حدود النهي: ﴿لَا تُضَارْ﴾ وكأنّ القراءة تُوحِي بالقطع والمنع في لُطْفٍ.

وقد انطوَتْ هذه القراءة على بعض معالم التلطيف، ومن أهمّها ما يأتي:

---

(١) حدائق الروح والريحان ٣/ ٣٤٦.

(٢) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي ٢/ ١٨٢، والكشاف للزمخشري ١/ ٢٨٠، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٤٤، وحدائق الروح والريحان ٣/ ٣٤٦.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٤٧، وتفسير السمعاني ١/ ٢٣٧.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

١ - إسكان الرّاء في هذه القراءة يشير إلىٰ ما ينبَغِي أن يكون عليه الوالِدان، وهو السكون في موضع النزاع؛ فكأنّ الإسكان يُناسِبُ كبْحَ جماح النّفس عند كلّ منهما، وهذا في غاية التلطّف.

٢- بيانُ أنّ هذا الفعْلَ - وهو الإضرار - لا ينبغي أن يقَع أصلًا، قال الإمام الطبري: " ليست تُكَلَّف نفْسٌ إلا وُسْعَها، وليستْ تُضَارّ والدة بولدها، يعني بذلك أنه ليس ذلك في دين الله وحُكْمِه وأخلاق المسلمين[١]" فكأنّ تسكين الراء يُلائِم معْنَىٰ الكَفّ والتّوقُّف والمَنْع؛ فهُو سكونٌ يَحْمِل دلالة الرّدْع بلُطْفٍ.

وأما قراءة نافعٍ ومَن وافقه: ﴿لَا تُضَارَّ﴾ فأصْلُها: (تُضَارِرْ) والرّاء الأولىٰ يجوز فيها الكسْرُ بِناءً للفاعل، والفتْح بناءً للمفعول، ثم أُدغِمَت الرّاءُ الأولىٰ في الثانية[٢]، وكان ينبَغِي أن تكون الراء في هذه القراءة مجزومةً بـ﴿لَا﴾ الناهية، لكِنّها حُرِّكَتْ بالفتْح؛ لأنه أخَفُّ الحرَكات[٣].

ويُلاحَظُ أنّ الإدغام في هذه القراءة جعَلَها تَحْتَمل البناء للفاعل، والبناءَ للمفعول علىٰ السواء، والمعنىٰ علىٰ البِناء للفاعل: لا تَضُرُّ (أي: لا تُضارِرْ) والدةٌ زوْجَها أو ولَدَها، وعلىٰ البناء للمفعول: لا تُضَارَرْ والدةٌ، أي: لا يوقَع عليها الضّررُ[٤].

والحاصِلُ: أنّ هذه القراءةَ تَنْهَىٰ الأطرافَ كافّةً عن إيقاع كلٍّ منهم الضّرَرَ بغَيْره؛ فتَنْهَىٰ الأُمّ عن انتزاع الولَد لإغاظَةِ أبيه، وأن تُضَارَّ الصَّبِيَّ بِتَرْك رضاعه، أو تقْلِيله، وتَنْهَىٰ الوالِدَ عن إيقاع الضّرَر بزوْجِه بانتزاع الولَد منها، أو تَرْك النّفَقَة عليه وكِسْوَتِهِ،

---

(١) جامع البيان ٥/ ٤٦.

(٢) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٨٩، وجامع البيان للطبري ٥/ ٤٦، والكشف والبيان للثعلبي ٢/ ١٨٢، والتفسير الوسيط للواحدي ١/ ٣٤١.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٤٦، والكشف والبيان للثعلبي ٢/ ١٨٢، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٧٨.

(٤) يُنظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٣١٣، وجامع البيان للطبري ٥/ ٤٦، والكشف والبيان للثعلبي ٢/ ١٨٢، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣١٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وتَنْهاهما معًا عن أن يُكرِهَ أحدُهما الآخَر علىٰ الإرضاع، أو النّفَقَة بما يَشُقّ عليه؛ فالنّهْيُ في القراءة نَهْيٌ صَريحٌ عن أيّ ضررٍ يُوقِعُه أحَدُهما بصاحِبه، أو بالصّبِيّ(١).

وفي هذه القراءة من معالم التلطيف اللغوي ما يأتي:

١- إضافَةُ الولَد إلىٰ كلٍّ من الأبوَيْن؛ للاستعطاف! وإثارة الرحمة، وتحريك الطّبْع لمزيد من الشّفَقَة! وبيان اشتراكهما في هذا الولَد؛ فلا ينبغي المضارة به، وهذا من أرقىٰ أبواب التلطيفِ البلاغيّ الدلاليّ(٢)؛ فكُلّ مَن أسْنَد اللهُ تعالىٰ المضارَّة إليه؛ أضاف إليه الولَد علىٰ سبيل الاستعطاف(٣).

٢- تَرْك تسْمِيَة الفاعل؛ حيث جاءتْ صيغة: ﴿لَا تُضَارَّ﴾ مبنيةً للمفعول دون ذكْر الفاعل؛ فليس القصْدُ إذَن تحديدَ مُوقِعِ الضّرَر منهما، بل القصْدُ تَنزِيه مقامَيْهما معًا، وصَرْفُ الخطاب إلىٰ عموم الوعْظ، وهذا من لطيف ما جاء في النّهْيِ(٤)، وهو تلطيفٌ بلاغيّ أسلوبيّ.

٣- اختيار صيغة المفاعلة: ﴿لَا تُضَارَّ﴾ الّتِي تَدلّ علىٰ المشاركَة، أي: أنّ كلّا من الوالد والوالِدَة قد يَضُرّ صاحِبَه، وفي حَذْف أحَد الطرفين تلويحٌ بأنّ المقصود قطْعُ جذور المشاحنات بيْن الأبوين، رحمةً بالولد! وهذا من التلطيف المشْعِرِ بأنّ العلاقة يجب أن تقوم علىٰ التعاون لا المضادة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فيُمكن أن يُقال: إنه تلطيف دلاليّ اجتماعيّ.

(١) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٤٦، وتفسير السّمعاني ١/ ٢٣٧، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٧٨، ومفاتيح الغيب للرازي ٦/ ٤٦٢.

(٢) يُنظر: الكشاف للزمخشري ١/ ٢٨٠، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ٥٢٥، ونظم الدرر للبقاعي ٣/ ٣٣٤.

(٣) يُنظر: نظم الدرر ٣/ ٣٣٤.

(٤) يُنظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٤٧، والكشف والبيان للثعلبي ٢/ ١٨٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الفصل الثاني: أثر القراءات في التلطّف في علاقة الولَد بوالِدَيْه

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التلطيف في مناداة الولد والِدَه.

وردَتْ كلمة: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في ثمانية مواضِعَ في القرآن الكريم، في أربع سُوَرٍ منه، هي قولُه تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾[يوسف: ٤] وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[يوسف: ١٠٠]وقوله تعالىٰ في قصّة إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾[مريم: ٤٢-٤٥] وقوله عز وجل: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾[القصص: ٢٦] وقولُه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾[الصافات: ١٠٢].

وقد اختلف القراء العشرة فيها حيث وردَتْ على قراءتَيْن:

القراءة الأولى: ﴿يَأَبَتَ﴾ بفتْح التاء، وبها قرأ ابن عامر وأبو جعفر.

القراءة الأخرى: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ بكسْر التاء، وبها قرأ بقيةُ القراء العشرة[(١)].

أمّا قراءة الجمهور: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ فأصْلُها: (يَا أَبِي) حُذِفَتْ منها الياءُ تخفيفًا، وأُبدلتْ عنها التاءُ علىٰ سبيل التّعويض؛ فالتّاءُ هي تاءُ العِوَضِ عن ياء الإضافة[(٢)]، وتختَصّ بالنِّداء فقط؛ فلا تُقال في غيره[(٣)].

---

(١) يُنظر: النشر لابن الجزري ٢/ ٢٩٣.

(٢) يُنظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٤٤٢، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٩، وزهرة التفاسير ٩/ ٤٦٤٦.

(٣) يُنظر: التفسير البسيط للواحدي ٦/ ٤١٤، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ١/ ٤٥.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وكسْرُ التاء – كما في هذه القراءة – هو الأَصْلُ؛ لأنّ الياء المحذوفة مكسورٌ ما قبلها؛ فناسبَ أن تَبْقَىٰ الكسرةُ دالّةً علىٰ تلك الياء المحذوفة، قال البصريون: التاء علامةُ تأنيثٍ أُدْخِلَتْ علىٰ (الأب) في النداء بدلًا من ياء الإضافة كما في قولهم: يا أبتِ، يا أُمّتِ(١).

أمّا قراءةُ ابن عامر وأبي جعفرٍ: ﴿يَأَبَتَ﴾ فأصْلُها: (يا أبَتَا) حُذِفَتْ منها الألِفُ تخفيفًا، وبقِيَتِ الفتْحة دليلًا عليها، كما في قولهم: يا غلامَ أقْبِلْ، بعْد حَذْف الياء(٢).

وقيل أيضًا: إنّ الأصْلَ الكسْرُ، فأُبْدِلَت الكسرةُ فتْحةً، كما يُبدَلُ من الياء ألفٌ في قولهم: يا غلامًا أقْبِلْ، في: يا غلامِي أقبلْ(٣).

وفيما يأتي عرضٌ لأقوال العلماء؛ لبيان ما تنطَوِي عليه القراءتان من تلطيف لغوِيّ، أمّا قراءة الجمهور: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ ففي موضِع سورة يوسف عليه السلام يقول الله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] يُخاطب يوسفُ أباه – عليهما السّلامُ – بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ مُظهِرًا الطواعيةَ! حريصًا علىٰ البِرّ! مُنتَبِهًا إلىٰ محلّ الشّفَقَةِ(٤)! وكسْرَة التاء في هذه القراءة تُشير إلىٰ رِقّة الصوْتِ ولِينِه(٥)، والخضوع من يوسف لأبيه عليهما السلام.

---

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/ ١٢١، والتفسير البسيط للواحدي ٦/ ٤١٤.

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز ٤/ ١٨، والجامع لأحكام القرآن ٩/ ١٢١.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبريّ ١٨/ ٢٠٣.

(٤) يُنظر: البحر المحيط ٦/ ٢٣٨.

(٥) يُنظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٩٤، وجامع البيان للطبري ١٣/ ١٣١.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

والأمر كذلك في مواضِع سورة مريم الأربعة؛ إذ إنّ كسْرَة التاء في كلام إبراهيم عليه السلام أباه تُشير إلىٰ تَرَفُّقِه به في إسداء النصيحة! كما تُشيرُ إلىٰ أنّ الخطاب خطابُ المستَعطِف! لا المسْتَعلِي(١).

وقد أشار الشيخ/ أبو زهرة - رحِمَه اللهُ - إلىٰ أنّ كسْرَة التاء مبالغةٌ في التلطّف والتّرَفّق! بل إنّ فيها من تدَلُّل الأبناء علىٰ آبائِهِم ما يبْعَثُ علىٰ التّحبّبِ والقُرْب؛ فكأنّ التاء رمزٌ للعاطفة الأبويّة، تنقُل نبْرَة التّدلّل من الابن إلىٰ أبيه(٢).

وفي هذه المواضع الأربعة المتتالية من أساليب التلطّف والتعطف ما ليس في غيرها؛ إذ ليس في القرآن الكريم تَكرار النداء بعنوان الأبوّة أربع مراتٍ متتابعةٍ إلا في سورة مريم، وهذه النداءات تحمِلُ تأليفَ قلْبِ أبي سيدِّنا إبراهيم عليه السلام وتطييبَ خاطِره! وإظهارَ التّودّد! واستدرارَ العطْف(٣)!

وتكرارُها أربع مرّاتٍ إشارة إلىٰ الاستعطاف(٤)! مع أنّ أباه كان كافرًا، وفي هذا التكرار دليل علىٰ إخلاصه عليه السلام في إسداء النصيحة لأبيه(٥).

ومعْنىٰ أنّ تكرار النداء للاستعطاف: أنّه مذكورٌ لطَلَب العَطْف والشفقة فقط! لا لمحْض النداء فحسْبُ(٦).

---

(١) يُنظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ١٩.

(٢) يُنظر: زهرة التفاسير ٩/ ٤٦٤٦.

(٣) يُنظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٠، والمحرر الوجيز ٤/ ١٨، والتيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري ٤/ ٣٤.

(٤) يُنظر: المحرر الوجيز ٤/ ١٨، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٤/ ١١، وروح المعاني للآلوسي ٨/ ٤١٤.

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير ١٦/ ١١٥.

(٦) حاشية الشهاب علىٰ البيضاوي ٦/ ١٥٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

يقول الزمخشريّ رحِمَه الله:" انظر حين أراد أن ينصح أباه ويَعظَه فيما كان مُتَوَرِّطًا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصا فيه أمْرَ العقلاء، وانسلخ عن قضية التمييز، ومن الغباوة التي ليس بعدها غباوةٌ؛ كيف رتَّب الكلام معه في أحسن اتّساق، وساقه أرشق مساق، مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين! والأدب الجميل والخلق الحسن! منتصِحًا في ذلك بنصيحة ربه عز وعلا ...[1]".

ولابن فارسٍ كلمة جليلة في هذا المقام؛ إذ يقول ما نَصُّه: "والكناية التىٰ للتبجيل قولهم: (أبو فلان) صيانة لاسْمِه عن الابتذال[2]".

الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ هو أحَبُّ ما يُخاطِب الابْنُ أباه؛ إذ إنّ فيه إظهارًا للتّرَحّم والتحنّن والشفقة! وهو أدعىٰ إلىٰ قبول النّصْح، والعمَل به[3]، وهو ما يبْغِيه الولدُ من والِدِه، إذا كان داعِيًا له إلىٰ الله تعالىٰ، كما في موقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه.

وما قيل في مواضع مريم الأربعة يُقال في غيرها من المواضع، ولا سيّما إذا علِمْنَا أنّ جميع مواضع ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ في القرآن الكريم جاءتْ في أثناء محاورات الأنبياء – عليهم السلام – مع أبنائهم، أو آبائهم.

وبناءً على ما سبَق؛ يُمكن استخلاصُ التلطيف اللغوي في هذه القراءة في النقاط الآتية:

١ – كسْرُ التاء فيه رخاوة صوتيّة؛ توحي باللِّين والتواضع[4].

٢ – إبرازُ شفَقَةِ الابن علىٰ أبيه، وإمحاض النّصْح له[5]! وخضوعه له! مع التزام الرفق والأدب في هذا كلّه.

---

(١) الكشاف ٣/ ١٨.

(٢) الصّاحبي، صـ٢٠١.

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ١٥٥، ونظم الدُّرر ١٥/ ١٦١.

(٤) يُنظر: الكشاف ٣/ ١٩.

(٥) يُنظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٢١٣، وزهرة التفاسير ٩/ ٤٦٥٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- تأليفُ قلوب الآباء، واستعطاف نفوسهم! ولذلك جاء في مقام دعوة إبراهيم لأبيه، وفي مقام رؤيا يوسف لوالده، وفي مخاطبة ابنة شعيب أباها عليه السلام، وكلها مقامات استعطافٍ وأدبٍ واستمالةٍ!

٤- نبْرَةُ الاستعطاف في كسْر التاء أوضحُ منها وأشَدُّ تأثيرًا من قراءة فتْح التاء.

أمّا قراءة ابن عامر وأبي جعفر: ﴿يَأَبَتَ﴾ فهِي تشير إلىٰ الاستعطاف كذلك[١]، ويُمكن إبراز التلطيف اللغوي فيها علىٰ النحو الآتي:

١- فتْحة التاء في هذه القراءة تشير إلىٰ صوْتٍ منبَسِطٍ مفتوحٍ، دالٍّ علىٰ الامتداد في النداء؛ ففيها تلطيف أيضًا، إلا أنه أوْضَحُ عاطفَةً، وأشَدُّ حرارةً!

٢- الألف المحذوفةُ من كلمة: (يا أبتَا) دلَّتْ عليها فتْحةُ التاءِ، وكأنّ هذه الفتْحةَ امتدادٌ صوتيّ[٢] مُشعِرٌ بتقريب المسافة الوجدانيّة بيْن الابن وأبيه.

٣- وُرودُ هذه النداءات بكلمة: ﴿يَأَبَتَ﴾ في المحاورات التي جرَتْ بيْن الأنبياء وأبنائهم، أو آبائهم فقط، إشارة إلىٰ أنّ هذه النّبْرة تكون في لحظات العاطفة الجيّاشة! والمشاعر المندفِعَة! كما في نداء يوسف أباه - عليهما السلام - ونداء إسماعيل أباه - عليهما السلام - وهي نداءاتٌ تُشير إلىٰ تمام الامتثال، حتىٰ في الذّبْح! ومع ذلك تمتَزِج بالانفعال العاطفيّ والرهبة[٣]، لا باللّين فحسْبُ.

(١) يُنظر: روح المعاني للآلوسي ٨/ ٤١٤.

(٢) أفدتُّ هنا من كلام العلامة/ الطاهر ابن عاشور، عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾[الزخرف: ٣٥] حيث ذكَر أنّ قَلْب التنوين ألفًا في الوقف علىٰ كلمة: ﴿وَزُخْرُفًا ۚ﴾ يُناسِبُ امتداد الصوت. يُنظر: التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٠٦.

(٣) يُنظر: الكشاف ٣/ ١٨.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثاني: التلطيف في النداءِ بعنوان الأمومة

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠] وقال سبحانه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤].

اختلف القراء العشرة في الميم من كلمة: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ وكلمة: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ في الآيتَيْن المذكورَيْن علىٰ قراءتَيْن متواترتَيْن:

القراءة الأولى: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ بفتْح الميم فيهما، وبها قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، وأبو جعفر، ويعقوبُ.

القراءة الثانية: ﴿ٱبْنَ أُمِّ﴾ ﴿يَبْنَؤُمِّ﴾ بكسْر الميم فيهما، وبها قرأ ابن عامر، وشعبة عن عاصم، وحمزةُ، والكسائيّ، وخلَف العاشر(١).

فأمّا مَن قرأ بفتْح الميم فإنه جعَل الاسمَيْن اسمًا واحدًا؛ فبناه علىٰ الفتْح، كما في: خمْسَةَ عشَرَ، وقيل: بل جاز الفتْح لكَثْرة الاستعمال، ولا سيّما في ﴿ٱبْنَ أُمِّ﴾ و(ابن عمّ)، ولا يُقاس عليهما(٢)، وقيل: بل أراد: يابْنَ أمّي، ولكِنّه قلَب الياءَ ألِفًا؛ فقالَ: يابْنَ أُمّا، ثم حُذِفَت الألفُ تخفيفًا، فصارت: يابْنَ أُمَّ، وإنما جاز قلْبُ الياء ألفًا؛ لِقُرْب النداء من النُّدْبَة، وقياسُهما واحدٌ(٣).

---

(١) يُنظر: السبعة لابن مجاهد، صـ٤٢٣، والنشر لابن الجزري ٢/ ٢٧٢.

(٢) يُنظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٩٤، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٣٣٨، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٣، وحجة القراءات لابن زنجلة ١/ ٢٩٧.

(٣) يُنظر: الحجة لابن خالويه، صـ١٦٤، ومعاني القراءات للأزهري، ١/ ٤٢٥.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وأمّا مَن كسَر الميم فإنه أشار إلىٰ أنّ هارون أضاف موسىٰ – عليهما السلام – إلىٰ نفْسِه؛ فحذَف الياء مُكتَفِيًا عنها بالكسْرة؛ لأنّ النداءَ مبنيّ علىٰ الحذْفِ[١]، وقيل: الكسْرُ علىٰ لُغَةِ مَن يقُول: هذا غُلامِ، بحَذْف الياء، أو أنّه جعَلَه اسمًا واحدًا، آخِرُه مكسورٌ، كما في قولهم: خازِ بازِ[٢].

وفيما يأتي بيانُ ما في القراءتَيْن من التلطيف اللغويّ:

أوّلا: التلطيف في قراءة كَسْر الميم فيهما: ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾.

تَنطَوِي هذه القراءة على أنواعٍ من التّلطيف اللغويّ، إليك بيانَها في النقاط الآتيَة:

١- الكسْرُ أدخَلُ في باب الاسترحام والتذَلّل الهادئ! لذلك ذكَر العلماء أنّ مَن كسَر فقد أشار إلىٰ أنّ هارون قد أضاف نفْسَه إلىٰ أخيه موسىٰ[٣] – عليهما السلام – فالكسْرُ مُوحٍ بنغمةٍ صوتيّةٍ فيها لينٌ في الكلام واستعطافٌ[٤]!

٢- الكسر مُشْعِرٌ بانخفاض نغمة الكلامِ في آخر النداء؛ فناسَبَ الحالةَ التي كان عليها هارونُ في اعتِذارِه، وهي ما يكون عليه المعتَذِرُ من الانكسار والتّحزّن في تلك اللّحْظة[٥].

---

(١) يُنظر: الحجة لابن خالويه، صـ١٦٤، ومعاني القراءات للأزهري ١/ ٤٢٥، وحجة القراءات لابن زنجلة ١/ ٢٩٧.

(٢) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٣٨، وجامع البيان للطبري ١٣/ ١٢٨، ومعاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٣.

(٣) يُنظَر: معاني القرآن للزجاج ٣/ ٣٧٣.

(٤) يُنظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٩٤، وجامع البيان للطبري ١٣/ ١٣١.

(٥) الفواتح الإلهية للنخجواني ١/ ٢٦٨.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- النّداءُ بعنوان الأمومةِ مع الإضافةِ إلىٰ النّفْس، فيه مقابلةُ شيءٍ بشيءٍ؛ فلمّا كان من موسىٰ عليه السلام الغضَبُ؛ اسْتَدْعَىٰ هارونُ عليه السلام آصِرَةَ الرَّحِم! لِمَا في النداء بالأمومة من معاني الاسترحام! لأنّ الرّحِمَ التي اسْتَدْعاه بها جَمَعَتْهُما معًا في مكان واحدٍ، وهو أدْعَىٰ لاستجلاب الشّفَقَة[1]!

ثانيًا: التلطيفُ في قراءة الفتْح فيهما: ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾.

في هذه القراءة من مظاهر التلطيف اللُّغويّ ما يأتي:

١- الفتْحَةُ تُحْدِثُ جرسًا صوتيّا أقربَ إلىٰ استجلاب العاطفة؛ لأنهما كانا أخوَيْن لأبٍ وأمٍّ، لكِنّه ذكَر الأمّ استعطافا وترقيقا[2]! كأنّ نبيّ الله موسىٰ عليه السلام سَمِع من أخيه نداءً يَحْمِلُ دفءَ الشعور! وحرارة المناشدَة.

٢- استدْعاءُ الأمومة والنّداءُ بها بدلًا من الأبُوّة مع كوْنِهما أخوَيْن؛ تَذكيرٌ لموسىٰ عليه السلام بِمعالِم الشّفقة والرحمة! لِأنّ الأمّ أرقّ، وأشْفَقُ قلْبًا[3]!

---

(١) يُنظر: الكشاف للزمخشري، عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]. ١/ ٤٦٢، وحاشية الشهاب علىٰ البيضاوي ٦/ ٢٢١.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني ٢/ ٧٢٨، ومعالم التنزيل للبيضاوي ٤/ ٣٧، وروح المعاني ٨/ ٥٦١. قال الشهاب شارحًا كوْنَ النداء بالأمّ استعطافًا وترقيقًا ما نَصُّه: "قوْلُه: " استعطافا وترقيقًا" كأنّ وجْهَه: أنّ الأمّ أشفق وأرقّ قلبًا؛ فنسْبَتُه إليها تذكير بالرقة البشرية! ولذا قالت العرب: ويْلُمِّه! دون أبيه؛ فإذا أرادوا المدح قالوا: لله دَرّ أبيه". حاشيه الشهاب البيضاوي ٦/ ٢٢١، والبحر المديد لابن عجيبة ٣/ ٤١٤.

(٣) في حديث أمّ هانئٍ أنها قالت لرسول الله ﷺ: " زعَم ابنُ أمّي" تقْصِدُ عَلِيًّا رضي الله عنه. وخصّت الأمّ بالذّكْر مع أنّ عليّا رضي الله عنه شقيقُها؛ لما تقْتَضيه الأمومةُ من الشّفقة والرّعايَةِ! يُنظر: منحة الباري بشرح صحيح البخاري ٩/ ٢٦٧.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- النّداءُ بعنوان الأمومَةِ تذكير بما ينبَغِي أن يكون عليه الأَخُ عند اشتداد الخُطُوب بيْنه وبيْن أخيه، كأن نبيّ الله موسىٰ يقول لهارون – عليهما السلام -: أُذَكّرُك بالرَّحِم الذي جمَعَتْنا أن تَرْحَمَني[١]! وألا تزيد عليّ يا أخي؛ فإنّ الأمّ – بيْن أبنائها – هي عنوان المحبّة! ومجتمع الحنان والمودة[٢]!

وممّا تلاقَتْ فيه القراءتان من معالم التلطيف ما يأتي:

١- أنّ النّداء بالأمّ دون الأب يَسْتَدْعِي مشَقّة الحَمْل والتربية، وما يَلْزَم ذلك من الحنُو والتعَطّف[٣]! وما يتْبَعُه من المقاساة والمعاناة! وتخليص الولَد من المخاوفِ والشدائد! وهذا – وإن كان موجودًا في الأَبِ – إلا أنه في الأمّ اظهَرُ وأشْهَر، والرّحْمَةُ بها ألْصَق وأتَمّ[٤].

٢- أنّ آثار الرحمة كانت ظاهرةً في مواقف نبيّ الله هارون عليه السلام مع قومه أيضًا؛ فقد قال الله تعالىٰ في حقّه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾[مريم: ٥٣] فكان كثيرًا ما يَلْهَجُ لسانُه بالرحمة! كما في تلَطُّفِه مع عبَدَة العِجْل حينما قال لهم ما ذكَره الله تعالىٰ عنه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[طه: ٩٠] ويَندَرج تحت هذا أيضًا نداؤُه أخاه موسىٰ عليه السلام بقوله: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ لأنّ الرحمة فيها أتَمّ منها في الأَبِ، ولولا وجودُ الرحمةِ؛ ما قَوِيَتْ علىٰ تربية أولادها وتحمّل المصاعبِ في سبيل ذلك[٥].

---

(١) يُنظر: الكشاف للزمخشري ١/ ٤٦٢.

(٢) يُنظر: زهرة التفاسير ٦/ ٢٩٥٨.

(٣) يُنظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٢/ ٩١.

(٤) يُنظر: روح المعاني ٥/ ٦٤.

(٥) يُنظر: روح المعاني ٥/ ٦٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- أنّ تخصيص الأمّ بالذّكْر يَنطَوِي علىٰ ما تمْنَحُه لأبنائها من حُنُوّ وتَعَطّفٍ! وما ينبَغِي أن يكون عليه الأبناء نحو أمهاتهم أيضًا[١]، فقد سأل رجل سيدّنا رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحقّ الناس بحُسْن صحابَتِي؟ قال: أمّك، قال: ثم مَن؟ قال: أمّك، قال: ثمّ مَن: قال: أمّك، قال: ثمّ مَن: قال: أبُوك[٢].

٤- أنّ الأُخُوّة من جِهَة الأمّ آكَدُ في القرابة، وأشَدّ في اقتضاء الرعاية من غيرها[٣]!

(١) يُنظر: التفسير الحديث، محمد عِزّة دروزة، ٤/ ٢٥٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ باب: مَن أحقّ الناس بحُسْن الصّحبَة، ورقم الحديث: (٥٩٧١).

(٣) يُنظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١/ ٣٨٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثالث: النهي عن إيذاء الوالدين ولو بأدنى كلمةٍ

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى...﴾[الأحقاف: ١٧].

اختلَف القراء العشرة في كلمة: ﴿أُفٍّ﴾ في موضِعَيْها من الآيتَيْن المذكورتَيْن علىٰ ثلاث قراءاتٍ(١).

القراءة الأولى: ﴿أُفٍّ﴾ بفاءٍ مكسورةٍ مشدَّدةٍ، وبها قرأ نافع وحفصٌ وأبو جعفرٍ.

القراءة الثانية: ﴿أُفَّ﴾ بفتْح الفاء بلا تنوينٍ، وهي قراءة ابن كثير وابنِ عامرٍ ويعقوبَ.

القراءة الثالثة: ﴿أُفِّ﴾ بكسر الفاء غيرَ مُنَوَّنَةٍ، وهي قراءةُ أبي عمرٍو وشعبة وحمزة والكسائي وخلَف العاشر(٢).

أمّا قراءة نافعٍ وحفصٍ وأبي جعفرٍ: ﴿أُفٍّ﴾ فهِي مبنيّةٌ علىٰ الكسْر، حمْلًا علىٰ نظيراتِها مِن الكلمات التي تدُلّ علىٰ التّأفّفِ والتّضجّر! نحو قولهم: صَهٍ، ومَهٍ(٣)، والتنوين فيها للتنكير(٤)، وهو يُفِيد العموم، ويشير إلىٰ أدْنَىٰ مراتبِ التأفُّف! فأيّ قدْرٍ من التأفّفِ كان - ولو يسيرًا - فهُو منْهِيّ عنه.

---

(١) والخلاف نفْسُه جارٍ بيْنهم في قوله تعالىٰ كما ذكَر عن إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الأنبياء: ٦٧].

(٢) يُنظر: السبعة لابن مجاهد، صـ٣٧٩، والنشر لابن الجزري ٢/ ٣٠٦.

(٣) الكشاف للزمخشري ٢/ ٦٥٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٢٤٣.

(٤) حجة القراءات لابن زنجلة، صـ٣٩٩، ومعالم التنزيل للبيضاويّ ٣/ ٢٥٢، والمغني في توجيه القراءات العشر ٢/ ٣٤٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وكسْرُ الفاء في هذه القراءة يُناسبُ طبيعة الأصوات التي تَدُلّ علىٰ التأفف والتوجّع! فهو أَخَفُّ وأَلْطَف في اللّفْظ مِن الفَتْح والضّمّ؛ لأنّ الضّمّ مع الكَسْر يُوحِي بخِفّة النّطْق، وكأنه أشد انسجامًا مع سياق النهي عن أقلّ الأذىٰ وأدناه.

وهذه القراءةُ تُفيدُ التّعبيرَ عن أضْعَفِ مراتب الضّجر! قال الإمام القرطبي في معناها: " لا تقُلْ لهما أدْنَىٰ تَبَرُّمٍ[١]".

وعلىٰ الرّغْم من شدّة الشكوىٰ التي يُفْهِمها السياق، إلا أنّ هذه الصيغةَ: ﴿أُفٍّ﴾ لم تَبْلُغْ درجةَ السّبّ أو الشّتْم، بل وقَفَتْ عند صَوْتٍ تنفُّسيٍّ يَفْهَمُه السامع علىٰ أنه ضِيقٌ مكتومٌ، كأنه صوْتٌ خارج بلا قصْدِ إيذاءٍ؛ فجاءت الآية بالنهيِ عنه لِتَقْطَع الطريق علىٰ ما بَعْدَه مِن الإيذاء؛ فيُفْهِمُ النّهْيَ عن الأعظم من بابٍ أولىٰ[٢].

وأمّا قراءة ابن كثيرٍ وابن عامرٍ ويعقوبَ: ﴿أُفَّ﴾ فالفتْحُ لغةُ قيس، والبناءُ علىٰ الفتْح يَرِدُ في مثل هذه الكلمة للتخفيف[٣]، وتَرْكُ التنوين يدُلّ علىٰ التعريف وعدَم التنكير[٤]، ويُفْهَمُ منه قصْدُ التعريف بالحالة، أو الاكتفاء بإفادة النهي عن صورةٍ معيّنَةٍ من التأفف!

وشدّةُ الفاء تُوحي بتكْثيف الإحساس بالقُبْح! كأنّ القارئ يلفظ الكلمة بما يُشْعِر بعِظَمِ جُرْمِها! إشارةً إلىٰ صورةٍ أشدَّ مِن التأفف البسيط؛ فيكون النّهْيُ هنا عن مرتبة أعلىٰ قليلًا ممّا أشارَتْ إليه قراءةُ نافع وحفص وأبي جعفر.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٤٢.

(٢) يُنظر: معالم التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٥٢، والبحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٣٦، وروح المعاني للآلوسي ٨/ ٥٥.

(٣) يُنظر: معالم التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٥٢.

(٤) يُنظر: المغني في توجيه القراءات ٣/ ٢٥٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وبِناء على ذلك؛ أفادَتْ هذه القراءةُ النّهْيَ عن التأفُّفِ اللّحْظِيِّ! كأنّ القائل ضاق بمَوْقِفٍ واحد ظاهر، وليس في كُلّ الأحوال، ومع ذلك فإنّ ورود النهي عنها يدُلّ علىٰ أنّ مجرد أقل إشارة إلىٰ التبرُّم مرفوضةٌ مع الوالدين.

وخُلُوُّ الكلمة من التنوين يُخفِّفُ من عموم المعنىٰ، ويُخصّصه بمقامٍ واحِدٍ؛ فهذه القراءة أرْفَقُ مِن القراءة الأولىٰ؛ لأنّ فيها تحديدًا لحالة التأفف! لا إطلاقًا له، وهذا من أوْجُه التلطيف فيها.

ويُمكن إيضاحُ التلطيف اللغويّ في هذه القراءة بأن يُقَالَ: اللّفْظُ وإن كان أقوىٰ في النطق، إلا أنّه مُسْتَعْملٌ هنا في سياق التدرّج البلاغيّ؛ فيَنْهَىٰ عن صورة من التأفف المستقذر جدًّا! لتكون باعثًا علىٰ اجتناب ما دونها وما فَوْقها[1].

قال ابنُ المنَيَّر: " فخُذْ هذا القانون عُمْدَةً، وهو: أنّ النهي إن خَصَّ الأدنىٰ فلفائدة التنبيه علىٰ الأعلىٰ، وإن خَصّ الأعلىٰ فلفائدة التدريب علىٰ الانكفاف عن القبح مُطْلَقًا من الانكفاف عن الأقبح[2]".

وأمّا قراءة أبي عمرٍو ومَن وافقه: ﴿أُفِّ﴾ فقد جاءت علىٰ أصْلِ البناء فكُسِرَتْ؛ لأنّ الأصْلَ في نحو هذه الأصوات الكسْرُ كما سبَق[3]، والتنوين إنما يُستَعْمل في الأصوات الناقصة علىٰ حرفين، مثل: (مَهٍ) و(صَهٍ) إذ تُكمَّل بالنون لقلّتها، أما ﴿أُفٍّ﴾ فهي علىٰ ثلاثة أحرف؛ فلا حاجة لتكْمِيلها بالتّنْوين.

وكلمة: ﴿أُفٍّ﴾ تدُلّ علىٰ التّضجّر والضِّيق! والكَسْرُ في آخِرِها لا يُغيّر أصل المعنىٰ، بل يحافظ علىٰ البناء المسموع عند العرب.

---

(١) يُنظر: معالم التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٥٢، وروح المعاني للآلوسي ٨/ ٥٥.

(٢) الانتصاف من الكشاف ١/ ٤٥٦.

(٣) يُنظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٦٥٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٢٤٣.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ويمكن ملاحظة لونٍ من التلطيف في هذه القراءة؛ إذ إنّ الاقتصار علىٰ الكسْرِ يُعبّر عن أقلِّ درجات إظهار التّضجّر! فيكون ذلك أَلْيَنَ في الخطاب! وأبْعَدَ عن فُحْش القول؛ فالكلمة هنا إشارة رمزية مقتضبة تدُلّ علىٰ الاستثقال، لكنها لا تتضمّن سبًّا ولا شتمًا؛ فاتَّسَقَتْ مع مقصد الآية في الأمر ببرّ الوالدين، واجتناب كلّ ما يؤذيهما، ولو كان أيسَرَ كلمةِ تضجُّرٍ(١).

ويُضاف إلى ذلك: أنّ هذه الصِّيغة وسَطٌ بيْن قراءة نافع ومَن وافَقَه: ﴿أُفٍّ﴾ وقراءة ابن كثير ومَن وافَقَه: ﴿أُفَّ﴾ فالأولىٰ هي الأخَفُّ، والثانية هي الأثْقَلُ، وهذه وسَطٌ بيْنَهما، ففيها إشعارٌ بالاستمرار في التضجّر! لكِنّه أخَفُّ حِدَّةً من الفتْح، ومِن حيثُ الإيقاعُ الصوتيُّ، فالكَسْر بعْد التشديد أخفُّ علىٰ السمع؛ فالنّهْيُ في هذه القراءة يَتّسِم بالموازنة بيْن قُوَّة التحذير ورِقَّة الأسلوب! وهي مناسبة لمقام الأمر بالبِرّ ولُطْفِه.

(١) يُنظر: معالم التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٥٢، والبحر المحيط لأبي حيان ٧/ ٣٦.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الرابع: التّلطيف في نداء الوالد ولدَه

وردَتْ **كلمةُ**: ﴿يَا بُنَيَّ﴾ في مواضِعَ كثيرةٍ من كتاب الله تعالىٰ، اختلَف القُرّاء العشرة في سِتَّةٍ منها، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢] وقوله سبحانه: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] وقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣] وقولُه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦] وقوله جلّ شأنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢] وكان اختلافُهم علىٰ النحو التالي:

قرأ حفصٌ بفتْح الياء في المواضع الستّةِ هكذا: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ ووافقه شعبةُ في موضع سورة هُودٍ عليه السلام، ووافقَه البزّيُّ عن ابن كثير في الموضِعِ الثالث من لقمان، وقرأ قنبل عن ابن كثيرٍ هذا الموضِعَ بتخفيف الياء ساكنةً هكذا: ﴿يَا بُنَيْ﴾ وأسْكَنَ ابنُ كثيرٍ من روايتَيْه الموضِعَ الأوّل من مواضِع لقمانَ الثلاثةِ، وهو قولُه تعالىٰ فيما ذكَره عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ وأمّا الموضِعُ الثاني من لقمان فقرأه ابن كثيرٍ بكسْرِ الياءِ مشدّدةً هكذا: ﴿يَا بُنَيِّ إِنَّهَا﴾ وكسْرُ الياء هو قراءةُ بقيّة القراء العشرة في المواضِعِ السّتّةِ[1].

أمّا مَن فتَح ياءَ المنادَىٰ ﴿يَا بُنَيَّ﴾ فقراءَتُه تصغيرُ كلمة: (ابْن).

(١) يُنظر: النشر لابن الجزري ٢/ ٢٨٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وفي هذه القراءة من مظاهر التلطيف اللغوي ما يأتي:

١- شَفَقةُ الوالد علىٰ ولَدِه! الحاملةُ له علىٰ مناداتِه قائلًا: ﴿يُا بُنَيَّ﴾ مُجتَزِئًا بالفتْحة عن الألف المبدَلَة(١).

٢- النّداء بالتّصْغير من باب التّحنّن والترؤُّف، وأكثر ما يكون بيْن الوالد ووَلَدِه(٢).

٣- الإضافَةُ في كلمة: ﴿يُا بُنَيَّ﴾ تَعْني أنّ الوالِدَ أضاف الولَد إلىٰ نفْسِه؛ ليكون ذلك أدْعَىٰ إلىٰ قبول النّصْح والإرشاد؛ لِمَا في هذه الإضافة مِن التّحنّن وكمال التّرَحّم والتعطّف(٣)!

٤- فَتْحُ الياء يُوحِي بامتداد الصّوت ودِفْء النّبرة! كما يُشْعِر بحرارة عاطفة الأبوّة! وصدق الانفعال، ومزيد التحنّن! وهذا كلُّه يلائم المقاماتِ التي يَغْلِبُ عليها الوجدانُ القويّ، والموقف الوجدانيُّ العميقُ، كما في خطاب إبراهيم لابنه إسماعيل – عليهما السلام – عند الامتثال لأمر الذبح.

أمّا خطاب نوح عليه السلام ابْنَهُ حيث قال كما ذكَر الله تعالىٰ عنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[هود: ٤٢] ففيه استعطافٌ منه عليه السلام ممتزِجٌ بالحُنوِّ والرأفة! مع فظاظةٍ بلغَتِ الغايَةَ مِن ابْنِه! إذ لم يقُلْ: ﴿يَا أَبَتِ﴾ ردّا علىٰ قول أبيه: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ مع أنه رأىٰ من الآيات ما يَشيب له الولدانُ(٤).

٥- اسْتجلابُ الطّاعَةِ برِفْقٍ ممزوجٍ بحرارة الإيمان، مهما كانت ثقيلةً، كالذّبْح مثلًا.

---

(١) يُنظر: لباب التأويل للخازن ٢/ ٤٨٧، وروح المعاني للآلوسي ١٢/ ٥٩.

(٢) يُنظر: روح المعاني ١٢/ ٥٩.

(٣) يُنظر: الفواتح الإلهيّة ٢/ ١٣١.

(٤) يُنظر: نظم الدرر ٩/ ٢٨٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أمّا قراءة: ﴿يُا بُنَيِّ﴾ بكسْرِ الياء؛ ففيها من مظاهر التلطيف ما يأتي:

١- التّصغير في هذه القراءة في تنزيلُ المخاطَب الكبير منزلةَ الصّغير؛ كنايةً عن الشّفقة والتحبّب للمخاطَب! فإذا انضاف إلىٰ ذلك أنّ المقام مقامُ موعِظَةٍ ونصْحٍ! كان إيماءً إلىٰ أنّ النصيحة خالصَةً، لا تحمِلُ إلا حُبَّ الخير للمَنصُوح[١]؛ فكأنّ الكسْر صوتٌ لطيف مناسب لمقام الرِّفْق! والتعليم الهادئ.

٢- الخطاب بقوله: ﴿يَا بُنَيِّ﴾ بأحَبِّ ما يُمْكِن أن يُخاطَب به الابْنُ؛ إذ إنّ فيه إظهارًا للتّرَحّم والتحنّن والشفقة؛ ليكون هذا كلُّه أدعىٰ إلىٰ قبول النّصْح، والعمَل به[٢]، وهو ما يبْغِيه الوالدُ من ولَدِه.

٣- الإيحاء بأنّ الولَد ما زال بحاجةٍ ملِحّةٍ إلىٰ إسداء النصيحة، ولا سيّما إذا كان مُسْدِيها هو الوالِد، كأنه يقول لابْنه: إنّك ما تزال في حاجةٍ إلىٰ نصيحتِي؛ فلا تظُنّ أنّك قد كبرتَ فاسْتَغْنَيْتَ عن والدِك[٣].

كما أنّ كسْرَ ياءِ ﴿يَا بُنَيِّ﴾ ينبَعِثُ منه رقّةُ اللين! ولُطْفُ النصيحة! وهدوء الإرشاد؛ فهي قراءة تتناسب مع مقام التعليم والموعظة كما في وصايا لقمان الحكيم، فتجْمَع بيْن أدَب المخاطبة وجمال الإشفاق! ليكون أثرها في النفس أدعىٰ إلىٰ القبول والاستجابة[٤].

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير ٢١/ ١٥٥.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ١٥٥، ونظم الدُّرر ١٥/ ١٦١.

(٣) يُنظر: تفسير الشعراوي = الخواطِر، ١٩/ ١١٦٣٦.

(٤) يُنظر: نظم الدُّرر ١٥/ ١٦١.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٤- كسْرَةُ الياءِ تَدُلّ علىٰ رقّة العاطفة !وكمال النصيحة! لأنّ الإضافة فيها أشَدُّ وضوحًا من قراءة الفتْح، وهذا مُلاحَظٌ في كل المواضِع، ولا سيّما هذا الموضِعَان: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾[لقمان: ١٣] و﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ [هود: ٤٢].

ومن خلال ما سبَق؛ يُمكن إبرازُ ما اتّفَقَتْ عليه القراءتان في النّقاط الآتية:

١- أنّهما معًا مبنيّتان علىٰ التّصغير، والتصغيرُ لُبّ التلطيفِ المشْعِر بالشَّفقة والتّحبّب! ولا سيّما إذا كان الابن صغيرَ السّنّ(١)، ولله دَرّ الشاعر إذ قال:

مـــا قُلْـــتُ حُبَيْبِـــي مِـــن التَّحْقِيـــر بَلْ يَعْذُبُ اسْمُ الشَّـخْصِ بالتّصْـغِيرِ(٢)

٢- كلتا القراءتيْن دالّة علىٰ مودّةٍ قائمَةٍ بيْن الوالِد وولَدِه؛ لأنّ الخطاب فيهما بأحبِّ ما يخاطِب به الوالدُ ولَدَه، مُظهِرًا ترَحُّمَه وشفقتَه عليه(٣).

٣- القراءتان تُشيران معًا إلىٰ تنزيل الكبير منزلة الصغير؛ ليقبل النُّصْح بتواضُعٍ(٤).

٤- القراءتان تَجمَعان بيْن الهيبة الأبَوِيّة والحنان الرحِمِيّ! وبيْن التعليم والموعظة بلُغة القَلْب، لا بلُغة الأمر، يقول أبو حيان في موضِع سورة الصافات: "وَلَمَّا كَانَ خِطَابُ الْأَبِ ﴿يَا بُنَيَّ﴾، عَلَىٰ سَبِيلِ التَّرَحُّمِ! قَالَ هو: ﴿يَاأَبَتِ﴾ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِيرِ(٥)" وهذا الكلام يُبيّن أنّ الحوار بيْنهما انتظَم في نسَقٍ من الأدب الرفيع، يَجمَع بيْن حُنُوِّ الأَبِ! وبِرّ الابْن!

(١) يُنظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ١٥٥.

(٢) البيت من (المنسَرِح) وهو لابْن الفارض في ديوانه ١/ ١٣٠.

(٣) يُنظر: نظم الدرر ١٥/ ١٦١.

(٤) يُنظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٢١٣.

(٥) البحر المحيط ٩/ ١١٧.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الفصل الثالث: أثَرُ القراءات في التلطّف مع الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول:

التلطيف في نقْل كلام الجاهل مع تنزيه المتكلّم الحقيقي عن سُوءِ الأدَب.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[المائدة: ١١٢].

اختلف القراء العشرة في جُملَة: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ فقرأها الكسائيُّ وحْدَه: ﴿هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ بالخطاب، مع إدغام لام ﴿هَلْ﴾ في تاء ﴿تَّسْتَطِيعُ﴾ ونصْب كلمة: ﴿رَبَّكَ﴾ وقرأ الباقون: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بإظهار لام ﴿هَلْ﴾ وبالياء في ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ورفْع كلمة:﴿رَبُّكَ﴾[1].

القراءة الأولى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ناقش العلماء هذه القراءة – رغْم تواتُرِها – لِمَا فيها من احتمالٍ يُوهِمُ إساءةَ أدبٍ مع مقام الربوبية! من حيث إنّ ظاهر السُّؤال فيه تعليق الاستطاعة بالله تعالىٰ، وقد يكون في ظاهر اللفظ ما يُتَوَهَّمُ منه الشكّ في قدرَتِه سبحانَه، وهو أمْرٌ محال علىٰ الحواريين.

والمتأمّلُ في كلام أهل العلم؛ يرىٰ أنّ هذا الإشكال قد أُزيل وأُجيب عنه بأوجهٍ كثيرة فيها تَلَطُّفٌ في الفَهْم والتأويل، ومن هذه الأوجه ما يلي:

أوّلا: حمْلُ السؤال علىٰ المعنىٰ المجازي، فقيل: إنّ المراد بـ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ هنا "يُطيع"، كما في لُغة العَرَب، فيكون المعنىٰ: هل يُطيعك رَبُّك إن سألْتَه؟ وهذا أسلوبُ تَلَطُّفٍ بلاغيّ في السؤال! وليس سؤالًا عن قدرة الله تعالىٰ، وإنما هو علىٰ جهة التّوَسّل والطّلب بالأدب، لا الإلزامِ أو الشّكّ[2].

(١) النشر لابن الجزري ٢/ ٢٥٦، والمكرر فيما تواتر من القراءات وتحرر للنشار، صـ١١٠.

(٢) يُنظر: جامع البيان للطبري ١١/ ٢١٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٦٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ثانيًا: صَرْفُ المعنىٰ إلىٰ طلَب الفعْل لا القدرة؛ فقوْلُهم: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ ليس سؤالًا عن إمكان القدرة، بل هو كقولك: هل يستطيع فلانٌ أن يَفْعَل كذا؟ وقولك له: أتستطيع أن تنهض معَنا في كذا؟ وأنت تعْلم أنهُما يستطيعَان؛ فيؤول المعنىٰ إلىٰ: هل يفْعلُ فلانٌ كذا؟ أتَنهَضُ معَنا في كذا[١]؟ وأنتَ تريد أن يفْعَله، أو تستثِيرُه ليَفْعَلَ، وفي هذا صَرْفٌ لمعنىٰ الآية إلىٰ: هل يفْعَل ربُّك كذا؟، أي: "هل يُجري هذا الأمْرَ لنا؟[٢]"فهو من تلَطُّف العبارة والأسلوب، لا مِن نُقْصانِ العَقِيدَة.

ثالثًا: صدورُ السؤال عن غَيْر الحواريين، أو صدورُه عنهم قبل كمال الإيمان، كما قال بعضُ المفسّرين[٣]، مُستَدِلِّين علىٰ ذلك بجواب عيسىٰ عليه السلام: ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا الرّدّ يدُلّ علىٰ أنّ الإيمان لم يكن بعْدُ قد اسْتَقَرّ في قلوبهم تمامًا؛ فعبّروا بسؤالٍ لا يليق مِن حيث الظاهِرُ، لكِنّ نواياهم لم يكن فيها سوءُ أدَبٍ.

رابعًا: أنهم أرادوا اليقينَ بالمشاهدة والمعاينَة، ولم يَقْصِدُوا إلىٰ الشّكّ في قدرة الله سبحانه، كما في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] إذ قال بعدها: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ وكذلك الحواريون أرادوا اليقين بالمعاينة، لا أنهم شَكّوا في قدرة الله؛ فقد ذكَر الله تعالىٰ أنهم قالوا في الآية التي بعدها: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾[المائدة: ١١٣][٤].

---

(١) يُنظر: جامع البيان للطبري ١١/ ٢١٨.

(٢) يُنظر: نواهد الأبكار للسيوطي ٣/ ٣١٨.

(٣) يُنظر: تفسير الماتريدي ٣/ ٦٤٩.

(٤) يُنظر: التفسير البسيط للواحدي ٧/ ٥٩٢، ومفاتيح الأغاني للكرماني، صـ١٥٧.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

خامسًا: حمْلُ قولِهم علىٰ التلطّف المحض؛ فقد نقَل الإمام القرطبيُّ عن ابْنِ الحصّار قولَه: " وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ مُخْبِرًا عَنْ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَىٰ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ لَيْسَ بِشَكٍّ فِي الِاسْتِطَاعَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَلَطُّفٌ فِي السُّؤَالِ! وَأَدَبٌ مَعَ الله تَعَالَىٰ، إِذْ لَيْسَ كُلُّ مُمْكِنٍ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وُقُوعُهُ وَلَا لِكُلِّ أَحَدٍ، وَالْحَوَارِيُّونَ هُمْ كَانُوا خِيرَةَ مَنْ آمَنَ بِعِيسَىٰ، فَكَيْفَ يُظَنُّ بِهِمُ الْجَهْلُ بِاقْتِدَارِ الله تَعَالَىٰ علىٰ كلّ شيءٍ مُمْكِنٍ[1]؟!".

ففي كلامه تصريح بأنّ الحواريين لم يَشُكّوا في استطاعة الله تعالىٰ، وإنما لَطّفُوا العبارة؛ طلبًا للفعل، وتحقيقًا للرجاء، كما يَفْعَل المؤمن حين يسأل ربّه سبحانه بأدبٍ وتواضعٍ له سبحانَه.

وبِناءً على ما سبَق بيانُه من أقوال العلماء؛ فإنّ لهذه القراءة نصيبًا من التّلطيف اللغويّ؛ إذ إنّ ظاهر اللّفْظ وإن كان يُوهِمُ السّؤال عن القُدرة، لكِنّه يجوزُ حمْلُه علىٰ السؤال عن الفِعْل، كما أنّ الحواريّين ما أرادوا الشّكّ، بل أرادوا الطمأنينةَ بالمعايَنَةِ، كحال نَبِيِّ الله إبراهيم عليه السلام.

ويُضاف إلى ذلك: أنّ في القراءة أدبًا في السؤال والتذَلّل، وليس فيها إساءةُ أدبٍ إذا حُملَتْ علىٰ التّخريجات السابقَةِ، وكُلُّها معتبرةٌ من حيثُ اللغةُ والشرعُ، تَرْفَع الإشكال، وتُثبتُ حُسْنَ التّأدّبِ والتلطُّفِ مع الله تعالىٰ.

وتجْدُر الإشارةُ إلىٰ أنّ التلطيف البلاغيّ هنا يَختَلِفُ عن التأويل العقَدِيّ؛ فهُو أسلوبٌ لغَوِيّ يُقْصَد منه تحسينُ الخطابِ، وتخفيفُ حدّة العبارةِ، أمّا التأويلُ فيتعَلّقُ بمعْنىٰ القدرة او قصْد اليَقين؛ فلا تلازُم إذَنْ بيْن التلطيف البلاغيّ، والتأويل العقَدّيّ هنا.

---

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٦٥.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

القراءة الأخرى: ﴿هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ ليس في هذه القراءة إشكال كسابِقَتِها، بل المعْنَىٰ واضحٌ عليها؛ فقيل: هل تستطيعُ أن تسأل ربَّك؟ وهذا القولُ مرْوِيّ عن أمّ المؤمنين عائشةَ – رضي الله عنها – ومُجاهدٍ، قالا: كان القومُ أعلمَ بالله تعالىٰ مِن أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، ولكِن قالوا: ﴿هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾؟ فهو استِفْهام فيه معْنىٰ الطّلَب، والمعْنَىٰ: سَلْ لنا ربَّك أن يُنَزّل علينا مائدة من السماء، وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: أقرأَنَا النبيُّ ﷺ: ﴿هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ قال: وسمِعْتُ النبي ﷺ مرارًا يقرأ بالتّاء[1].

وهناك تقديراتٌ أخرى بعضُها قريب من بعضٍ، منها: هل تستَدْعِي طاعةَ ربِّك فيما تسأله؟ ومنها: هل تستطيع أن تدعُوَ ربَّك أو تسْأَلَه؟ وكلّها معانٍ متقاربةٌ، والجامع بيْنها: وجودُ حَذْفٍ في الكلام وتقديرٍ، كما ذكَر سبحانه عن إخوة يوسف عليه السلام أنهم قالوا: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾[يوسف: ٨٢] والمعنىٰ: واسْأَلْ أهلَ القرية[2]، وهذا الحذْفُ يؤكّد أنّ الحواريّين لم يكونوا شاكِّين أنّ الله سبحانه قادرٌ علىٰ أن ينزّل عليهم مائدة من السماء، لكِنّهم قالوا لعيسىٰ: هل تستطيع أنت ذلك[3]؟

والمعنىٰ في الاستفهام عن استطاعة عيسىٰ عليه السلام السؤالَ: طلَبُ المعجزة منه، أراد الحواريّون: هل تستطيع بسؤالك إظهار هذه المعجزة التي نطلبها؟ ويحتمل أن يكون مرادهم بالاستفهام التلطف في استدعاء السؤال، كما تقول لصاحِبِك: هل تستطيع أن

---

(١) يُنظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، صـ١٣٥، التفسير البسيط للواحدي ٧/ ٥٩٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٦٥.

(٢) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦/ ٣٦٥.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ١١/ ٢١٨.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

تفعل كذا؟ وأنت عالم أنه يستطيع، ولكنّ قصْدَك بالاستفهام التلطف! وهذه القراءة قراءة ابن عباس، وعائشة – رضي الله عنهما – فقد رُوِيَ عنها أنها قالتْ: كان القوْمُ أعْلمَ بالله من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[1].

وفي هذه القراءة يتجلّىٰ التلطيف اللغويّ أيضًا؛ إذ عدَل الحواريُّون عن الاستفهام الحقيقيّ عن قُدْرَة الله تعالىٰ، إلىٰ التلطُّفِ في الطّلَب والتّأدّب فيه مع نبيّ الله عيسىٰ عليه السلام فأظهروا في كلامهم تقديرَ مقام الله تعالىٰ، ومقام سيدنا عيسىٰ عليه السلام.

وفي النقاط الآتية بيانُ مظاهر التلطيف اللغوي في هذه القراءة:

أولا: أسلوبُ الاستفهام بمعنىٰ الطّلب المؤدَّب: فقولهم: ﴿هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ لم يَقصِدُوا به الاستفهام عن استطاعةٍ حقيقية؛ لأنهم لو فعَلوا ذلك كانوا مسيئِين! بل هو كناية عن الطَّلَب، أي: هل تستطيع أن تدعُوَ وتسأل ربَّك[2]؟

وهذا الأسلوبُ هو من باب التوسّل والتلطّف في الطّلَب! كما يقولُ الرّجلُ لصاحبِه: هل يمكنك مساعدتي[3]؟ وهو يَعْلَم أنه يستطيع، ولكنّه يتأدّب في طلَبِه، ويُظهر أنه لا يُلزِم الطّرف الآخَر، بل يسْتَلْطِفه!

قال البقاعي في نظم الدرر: " ومعناهما – يعني: القراءتين – واحدٌ، يَرْجِع إلىٰ التهييج والإلهاب! بسبَب الاجتهاد في الدعاء، بحيث تحْصُل الإجابة، وتكون هذه العبارة أيضًا للتلطف! كما يقول الإنسان لمن يُعَظّمه: هل تقْدِر أن تَذْهَب مَعِيَ إلىٰ

(١) يُنظر: التفسير البسيط ٧/ ٥٩٢.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٢/ ١٠١.

(٣) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي ٤/ ١٢٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

كذا؟ وهو يعلم أنه قادر، ولكنه يكنىٰ بذلك عن أنّ السائل يُحِبّ ذلك، ولا يريد المشقّة علىٰ المسؤول[١]".

وقال الكرمانيّ: " ومرادهم بالاستفهام: التلَطُّفُ في استدعاء السؤال، كما تقول لصاحِبِك: هل تستطيع كذا؟ وأنت عالم أنه يستطيع، ولكن قصدك بالاستفهام التلطُّف[٢]".

ثانيًا: التلطّف في إظهار الأدب مع الله تعالىٰ، ونبيِّه عيسىٰ عليه السلام. فإنّ الحواريّين لم يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كما في قراءة الجمهور، بل قالوا: ﴿هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾، فلم يجْعَلوا محلَّ السؤال هو قدرة الله تعالىٰ، بل صرَفُوا الاستفهام إلىٰ استطاعة النبيّ ﷺ في الطّلَب والدُّعاء[٣]، وهذا فيه أدبٌ رفيع! ومراعاة لمقام الله تعالىٰ! إذ لم يشكّوا في قُدْرته سبحانه[٤]، بل عبّروا عن رغْبَتِهم في المعجزة بلُغةٍ لطيفةٍ فيها أدبٌ مع الله ورسوله ﷺ[٥].

ثالثًا: أسلوبُ الكِنايَةِ؛ فقولُهم: ﴿هَل تَّسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾ كناية عن: هل تدعو ربَّك؟ أو: هل ترجوه أن يُنزل مائدة؟ وهي كناية فيها تهذيب! تُشْبِه ما يُسَمّىٰ بـ"الأسلوب غير المباشر"، أي أنّ الحواريين لم يطْلُبوا مباشرةً، بل لجأوا إلىٰ صيغةٍ لَطِيفةٍ! توحي بالطلبِ بلِينٍ واحترامٍ، وهم لم يكونوا شاكّين في قدرة الله تعالىٰ[٦].

---

(١) نظم الدّرر ٦/ ٣٥٥.

(٢) مفاتيح الأغاني، صـ١٥٧.

(٣) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٢٢٠.

(٤) يُنظر: جامع البيان للطبري ١١/ ٢١٨، والتفسير البسيط للواحدي ٧/ ٩٢.

(٥) يُنظر: التفسير البسيط للواحدي ٧/ ٩٢.

(٦) يُنظر: الهداية إلىٰ بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب ٣/ ١٩٣٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثاني: نفْيُ الغلول عن النبي ﷺ

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ﴾[آل عمران: ١٦١].

اختلف القراء العشرة في كلمة: ﴿يَغُلَّ ۚ﴾ على قراءتين:

الأولى: ﴿يَغُلَّ ۚ﴾ بفتح الياء وضمّ الغَيْن، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرٍو وعاصمٍ.

الأخرى: ﴿يُغَلَّ﴾ بضمّ الياء وفتْح الغَيْن، وهي قراءة نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلَف العاشر(١).

أمّا قراءة: ﴿يَغُلَّ ۚ﴾ فالضّميرُ المسْتَتِرُ فيها عائد إلىٰ النّبِيّ ﷺ، والمعنىٰ: ما كان لنَبِيّ أن يخونَ(٢).

وأصْلُ اشتقاق ﴿يَغُلَّ ۚ﴾ غَلَّ – يَغُلُّ – غُلُولًا، ومعناه: أخَذ مِن الغنيمة خِفْيَةً قبل قسْمتها، فالمعنىٰ في هذه القراءة: ما ينبغي وما يجوز لنبيّ أن يَخون أمّتَه ويأخُذَ من الغنيمة شيئًا قبل قِسْمَتِها(٣).

وهذه القراءة مُوافقةٌ لأساليب العرَب، حيث يقولون: ما كان لفلان أن يَظْلِم، ولا يقولون: أن يُظلم؛ فالفعلُ يُنسَب إليه، ولا يكون مبنيّا للمجهول؛ لذلك كان الإسناد في هذه القراءة أفصح وأقوىٰ من حيث الأسلوبُ العربي(٤).

---

(١) يُنظر: الكنز في القراءات العشر لابن الوجيه الواسطي ٢/ ٤٤٤، وتحبير التيسير لابن الجزري، صـ٣٢٩.

(٢) جامع البيان للطبري ٧/ ٣٤٨.

(٣) يُنظَر: جامع البيان للطبري ٧/ ٣٤٨، ومعاني القراءات للأزهري، ١/ ٢٧٩، وحجّة القراءات لابن زنجلة، صـ١٧٩.

(٤) يُنظر: حجّة القراءات لابن زنجلة، صـ١٧٩.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وقد جاءت هذه القراءة ردّا علىٰ مَنِ اتَّهم النّبيَّ ﷺ بخيانةٍ في الغنائم! كما في حادثة "القطيفة الحمراء" فنزلت الآية لتؤكد أنه ﷺ لا يُمكن أن يُنسب إليه الغلول! بل هذا منفِيّ في حقّه، وقد قال العلماء: النبوة والخيانة لا يجتمعان(١).

وجعَل بعضُ المفسّرين إسنادَ الغلول في الآية إلىٰ النبي ﷺ مجازًا عقليّا، وتأوّلوها علىٰ معنىٰ: ما كان لجيش نبيٍّ أن يَغُلّ؛ فالغلول لا يقَع في جيْشِه(٢)، وهذا تأويل حسَنٌ للدفاع عن مقام النبوة.

وبعْدُ؛ فهذه القراءة تنطَوِي على بعض ملامح التلطيف اللغوي، التي يُمكن إجمالُها فيما يأتي:

١- التلطيف في صيغة النفي: فقوْلُه تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ ألطَفُ وأدَقُّ مِن أن يُقال مثلًا: "ما غلّ نبيّ(٣)؛ فهي صيغةُ نفيٍ إمكانيّةٌ وشرعيّةٌ، وليستْ نَفْيًا للواقع فحسبُ، أيْ أنّ الخيانة ليست غيرَ واقعةٍ فقط، بل هي لا تصحّ، ولا تَلِيقُ(٤)، ولا تجوز أصلًا لنبيّ من أنبياء الله عليهم السلام.

قال الشهاب الخفاجيّ: " وفي شَرْح الكشاف: أنّ لفْظة التغليظ قبيحة؛ لأنّ عادة الله مع حبيبه ﷺ التلطيفُ لا التغليظ، وكذا أنكر علىٰ النحرير(٥) في قوله: " عدَّ أدنىٰ زَلَّةٍ منه غلولاً" إطلاق الزلة عليه ﷺ وإنه مخالف للأدب(٦)".

---

(١) مفاتيح الغيب للإمام الرازي ٩/ ٤١٢، ولباب التأويل للخازن ١/ ٣١٣.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير ٤/ ١٥٥.

(٣) حدائق الروح والريحان ٥/ ٢٣٥.

(٤) يُنظَر: الهداية إلىٰ بلوغ النّهاية ٢/ ١١٦٣.

(٥) النّحرير = السّعْدُ التّفتازانيّ، وكثيرًا ما ينقُل عنه الشهاب الخفاجيّ في حاشيَتِه علىٰ البيضاوي.

(٦) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي ٣/ ٧٦.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٢- التلطيف في نسبة الفعل: فقد نُسِب الفعل إلىٰ النبيّ ﷺ في هذه القراءة، لكنْ لا لأنه واقع منه – حاشاه – بل لبيان أنّ هذا الفعل يستحيل صدُورُه منه(١)، كما يُقال مثلا: (ما كان للأستاذ أن يُقصّر) وهذا يُقَالُ حتىٰ لو لم يُقصّر، بل لأنّ التقْصير لا يناسب مقامه.

٣- التلطيف في بيان مقام النبوة: فاختيار هذه الصيغة فيه تنزيهٌ للنبي ﷺ وتعليمٌ للأمة أنّ الخيانة لا تجتمع مع النبوة(٢)، كما أنه يُشْعِرُ بتهذيب الخطاب؛ إذ لم يُقَلْ: "ما خان النّبِيُّ" بل كأنّه قيل: ما كان له أن يخون(٣).

بيان ذلك: أنّ هذه القراءةُ تُفيد نفي النّسبة الشرعية والأخلاقية للغلول عن النبي ﷺ وهي تتماشىٰ مع لسان العرب في تركيب النفي، وفيها تلطيف بلاغي في حماية مقام النبوة من التهمة؛ إذ لا تقول: "خان"، بل "ما كان له أن يخون"، وهذا أوْسَع نفيًا وألطف أدبًا.

وأما قراءة: ﴿يُغَلَّ﴾ فقد تعدّدَتْ أقوال العلماء في توجيه معناها، ويُمكن تلخيصُ ذلك فيما يأتي:

١- ما كان لنَبِيٍّ أن يُخَوَّنَ، أي: يُنسَب إلىٰ الخيانة والغلول(٤)، أخْذًا مِن قولهِم: أغْلَلْتُه، أي: نسَبْتُه إلىٰ الغُلول، كما تقول العَرَبُ: أكفَرْتُ الرجُلَ وأحْمدتُّه، أي: نسبْتُه إلىٰ كُلٍّ من الكُفْرِ والحمْد(٥).

---

(١) يُنظر: إملاء ما منّ به الرحمن ١/ ١٥٦.

(٢) يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤١٢.

(٣) جامع البيان للطبري ٧/ ٣٤٨.

(٤) يُنظر: معاني القرآن للزجاج ١/ ٤٨٤، وحجة القراءات لابن زنجلة، صـ١٧٩، والبحر المديد لابن عجيبة ١/ ٤٢٩.

(٥) يُنظَر: إملاء ما منّ به الرحمن للعُكبَرِيّ، ١/ ١٥٦، ومفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤١٣، وغرائب القرآن للنيسابوري ٢/ ٣٠٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وفي هذا المعْنَىٰ تَبْرِئَةٌ لساحَةِ النبيّ ﷺ مِن أن يُظَنّ به السّوءُ، ومِثْلُه قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[الأنعام: ٣٣][1] أي: لا ينسبونك إلىٰ الكَذِب، وهذا مِن التلطيف اللُّغَويّ! لأنه لا تصريح فيه بلفظ الاتهام[2]، بل جاء منفيّا مبنيّا لِمَا لم يُسَمّ فاعلُه؛ فهو تنزيه بعبارة لطيفة غير فجّة.

قال العلماءُ: " هذا من ألْطَف التعريض لها، بأن برّأ ساحة النبي ﷺ من الغلول؛ دلّ علىٰ أنّ الغلول في غيره، ونظيرُه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ: ٢٤][3]".

٢- ما كان لنبيّ أن يَغُلَّه أصحابُه؛ ففيها تقديرُ فاعلٍ محذُوفٍ، أي: لا يُخانُ ولا يُغَلُّ مِن قِبَل أتْباعه، والمعْنَىٰ: لا ينبغي لأحَدٍ أن يخُونَه في الغنيمة، أو يغلّها من ورائه[4].

وفي هذا المعْنَىٰ تلطيف أيضًا؛ إذ لم يُقَلْ ربُّنا سبحانه:"وما كان لأصحابه أن يغُلّوا" بلْ قُدّم النَّبي ﷺ في السياق ونُسِب إليه الفعْلُ مبْنيّا للمفْعُول؛ فنُزّه عن الجرْم، وعن أن يُظلم في آنٍ معًا.

---

(١) اختلف القراء العشرة في كلمة: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ فقرأ نافع والكسائي: ﴿لَا يُكْذِبُونَكَ﴾ بتسكين الكاف وتخفيف الذال، وقرأ الباقون: ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بفتح الكاف وتشديد الذّال. العنوان في القراءات السبع، صـ٩٠، والمكرر في ما تواتر من القراءات وتحرر، صـ١١٥.

(٢) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ١٩٦، والبحر المديد ١/ ٤٢٩.

(٣) الكشف والبيان ٣/ ١٩٦، وزاد المسير لابن الجوزي ١/ ٤٩١.

(٤) يُنظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٣٥٣، ومعاني القرآن للزجاج ١/ ٤٨٤، وحجة القراءات لابن زنجلة، صـ١٨٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- ما كان لنبيٍّ أن يُوجَد غالًّا[١]، أي: خائنًا في نفْسِهِ، والمعْنَىٰ: ما جاز أن يُوجَد النبيُّ ﷺ في حالٍ من أحوال الخيانةِ؛ لأنّ ذلك منافٍ للعصْمَة، وهَذا أَبْلَغُ في التّزكية والتوقير[٢]؛ لأنه ينفي الصّفة عنه نفْيًا تامًا علىٰ مستوىٰ الحال، لا الفعْل فحسْبُ.

وبناءً على ما سبَق؛ فإنه يُمكن إبرازُ وجوه التلطيف اللغوي في هذه القراءة على النحو الآتي:

أوّلا: التعبير بصيغة المبني للمفعول: ﴿يُغَلَّ﴾ أَبْلَغُ في النّفْي؛ لأنّ الفاعل غيرُ معلومٍ؛ فينصَرِفُ الذّهْنُ إلىٰ الفعْلِ، لا إلىٰ الشّخْصِ، وفي هذا إبعادٌ لأيّ إيحاءٍ يُوحِي بأنّ النبيّ ﷺ فاعلٌ أو مُتَّهَمٌ[٣].

ثانيًا: نَفْيُ الإمكان أو الجواز بصيغة: ﴿مَا كَانَ﴾والمعنىٰ: لا يُمكن ولا يصِحّ، ولا يَلِيقُ به أن يكون كذلك[٤]، وهذه الصيغة أبلغ ممّا لو قيل مثلًا: ما يُغَلُّ نَبِيٌّ، أو ما أشبهها مِن الصِّيَغ؛ لأنّها تُفِيد الاستحالةَ الشرعية والعقليةَ والخلقيّة؛ فلا يُوجَدُ نبيّ غالّ لا من حيثُ الشرعُ، ولا من حيث العقلُ، ولا من حيث الخُلُقُ.

ثالثًا: التلميح دون التصريح بالفاعل في التّقدير الذي قيل فيه: ما كان لنبيّ أن يَغُلَّه أصحابُه[٥]؛ ففي هذا التقدير لباقَةٌ في عِتَابِ صحابة سيدنا رسول الله ﷺ إذ لم يَقُلْ سبحانه: "وما كان لأصحاب نَبِيٍّ أن يَغُلُّوا"، بل جاء بصيغةٍ تَفْتَح لهم بابًا للتّراجُع.

---

(١) الكشاف للزمخشري ١/ ٤٣٣، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٥٣٦.

(٢) يُنظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٥٣٦.

(٣) يُنظر: الكشاف للزمخشري ١/ ٤٣٣.

(٤) يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤١٤.

(٥) معاني القراءات للأزهري ١/ ٢٨٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

رابعًا: المقابَلَةُ مع ما بعْدَه، وهو قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[آل عمران: ١٦١]

فالسياق يُظهِر أنّ الغلول عظيم! وقد نُزِّه عنه النبي ﷺ بدايةً، ثم أُتبِع بتحذير شديدٍ[١]! فهذه القراءة سِتْرٌ في مُقَدّمها! وعيدٌ في مُؤَخّرها.

خامسًا: التلويح بالذّنب وعدَم التصريح به؛ إذ إنّ هذه القراءة لا تصريح فيها باسْم فاعل الغلول؛ فيَبْقَىٰ المجال مفتوحًا للتأمل والتراجع، كما أنّها توحي بأن الغلول قد يَحْدُث، لكن لا ينبغي أن يَمسّ مقام النبوة.

(١) يُنظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٣٥٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الفصل الرابع:

أثر القراءات في تَلَطُّف الخطاب القرآنيّ وتلْطيفه، نماذج من النّهي والسؤال والدعوة إلى الله وفيه ثلاثة مباحثَ:

المبحث الأول: النهي عن الرفَث والفسوق والجدال في الحجّ.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾[البقرة: ١٩٧].

اختلَفَ القراء العشرة في قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ على ثلاث قراءات:

الأولى: ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ﴾ برفع الأسماء الثلاثة مُنوَّنةً، وبها قرأ أبو جعفرٍ وحده.

الثانية: ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالَ﴾ برفْع الاسمَيْن الأوَّلَيْن مُنَوَّنَيْن، ونصْبِ الثالث من دون تنوينٍ، وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرٍو ويعقوبُ.

الثالثة: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ بنصْب الأسماء الثلاثة غير مُنَوَّنةٍ، وبها قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائيّ وخلَف العاشر[1].

أمّا قراءة نافعٍ ومَن وافقه: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾ بنَصْب الأسماء الثلاثة مع تَرْك التنوين، فهِي مبنية علىٰ (لا) النافية للجنس[2]، وهي التي تعْمَل عملَ (إنَّ)، والنّفْيُ فيها واقعٌ علىٰ جِنس الرّفَث والفسوق والجِدال بأكمَلِهِم.

(١) يُنظر: السبعة لابن مجاهد، صـ١٨٠، والنشر لابن الجزري ٢/ ٢١١.

(٢) يُنظر: معاني القراءات للأزهري ١/ ١٩٦، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه، صـ ٩٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وهذا التركيبُ يفيد المبالغةَ في النهي[١]؛ إذ يُجعل المنهيَّ عنه كأنه منفِيُّ الوجود مطلقًا؛ فيُفِيد التّطْهير الكامل للحج من هذه الأمور الثلاثَة، كأنَّ الحاجَّ الْتزم بهذا النّهْي حقيقةً وفِعْلًا؛ فلم يقَعْ منه رفَثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ، وإذا كانت هذه الثلاثةُ مُستَقْبَحَةً في أنفُسِهَا؛ فهِيَ أَشَدّ قُبْحًا في موْسِمِ الحجّ[٢]! وهذا من بلاغة التمثيل بالحال المسْتَقْبَلَةِ كأنّها حاصِلَةٌ؛ إذ شُبِّهَتِ الحالةُ التي يكون عليها المأمورُ وقْتَ أمْرِه بالحالَةِ التي يكون عليها بعد امتثاله؛ فكأنه امتَثَل وفعَل ما أُمِرَ به؛ فصار يُخْبَرُ عنه بأنه فَعَلَ[٣].

يقول الطاهر ابن عاشور – رحمه الله – إثْرَ ذِكْرِه هذه القراءةَ: " وقد نَفَىٰ الرَّفَث والفسوقَ والجدالَ نَفْيَ الجنس؛ مُبالغةً في النّهْي عنها، وإبعادها عن الحاجّ؛ حتّىٰ جُعِلَتْ كأنّها قدْ نُهِيَ الحاجّ عنها فانتَهىٰ؛ فانتَفَتْ أجناسُها[٤]".

تنبيهٌ:

ذكَر الإمام السيوطيّ – رحِمَه الله – أنّ النّفْيَ في الآية ليس نفْيًا لوجود الرّفَث، بل هو نَفْيٌ لمَشْرُوعِيَّتِه؛ لأنّ الرّفَث قد يَقَع من بعض الناس، والله تعالىٰ لا تقَعُ أخبارُه علىٰ خِلاف ما يُخبِرُ به؛ فالنّفْيُ المذكور في الآية يُقْصَدُ به نَفْيُ وجود الرّفث مشروعًا لا وجوده محسُوسًا، ومثْلُه قولُ الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[البقرة: ٢٢٨] فمِنْهُنّ مَن لا تتربّص؛ لأنّ التّربُّص المذكور مشروعٌ لا محسوسٌ[٥].

(١) يُنظر: حجة القراءات لابن زنجلة، صـ١٢٩.

(٢) يُنظر: أنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٣٠.

(٣) يُنظر: الكشاف للزمخشري ١/ ٢٧٠، والتحرير والتنوير ٢/ ٢٣٣.

(٤) التحرير والتنوير ٢/ ٢٣٣.

(٥) يُنظر: نواهد الأبكار ٢/ ٤٢٣.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أمّا التّلطيفُ اللغويُّ في هذه القراءة فيَظْهَرُ في جانب التهذيب والتزكية؛ إذ يجعل الأمور الثلاثة كأنها ليستْ موجودة أصْلًا في موسم الحج؛ فهُو نَفْيٌ عامٌّ لها جميعًا(١)، وهذا نوع مِن السِّتْر اللغوي الذي لا يواجِه السامعَ بالتحريم المباشر، بل يُصَوِّرُه بصُورَةِ انتفاء الوقوع؛ فتَتَحَرَّكُ النفْسُ – حينئذٍ – نحو التزام الطّهارة والسّمُوّ.

كما أنّ في كلمة: (الرفَث) نَفْسِها تلطيفًا في مقام النهي عن أمْرٍ حييّ؛ إذ يَذْكُرُها الله تعالىٰ في مقامٍ يَنْهَىٰ فيه عن الجماع، بل هي نفْسُها تَعْنِي الجِماعَ، ولكن علىٰ طريقة التلطّف في الخطاب!

القراءة الثانية: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالَ﴾ برفْع الاسمَيْن الأوَّلَيْن، ونصْب الثالث بلا تنوينٍ، تقْديرُ النّفْيِ هذه القراءة: فلا يكونَنّ رفثٌ ولا فسوقٌ، أمّا (الجِدال) فعَلَىٰ نَفْيِ الجنس؛ لأنه أبلغ في الدّلالة علىٰ النّهْي هنا تحديدًا(٢).

وهذه القراءة تُعْطِي تَدَرُّجًا في النّفْيِ؛ فقوْلُه تعالىٰ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقٌ﴾ يأتِيَان علىٰ نحو قولِهم: لا يحدُث هذا ولا ذاك، ثم يأتي النصب في "الجدال" للدلالة علىٰ قُوّة النّهْي عنه خاصَّةً(٣)، ولعلّ سبَب ذلك كثرةُ وقوعِه في الحج، أو تأثيره السّلْبِيّ في مقصود العبادة(٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٠٨.

(٢) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ٤٠٨، وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/ ١٣٠، والتحرير والتنوير ٢/ ٢٣٣.

(٣) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٦.

(٤) يُنظر: حجة القراءات لابن خالويه، صـ٩٤.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

والجمْعُ بيْن الخبَر والنّهْيِ في تركيبٍ واحدٍ يدُلّ علىٰ بلاغة التّفْريقِ في الأثر، فـ"الرفث" و"الفسوق" أمران قد يطْرآن علىٰ بعض الناس، أما "الجدال" فهو أقربُ إلىٰ التّلَبّس والممارسات العَلَنِيّة؛ لذلك وقَع منصوبًا؛ لِيَدُلّ علىٰ التحذير المؤكَّد.

ويُلاحَظُ أنّ في هذه القراءة تلطيفًا في التّحذير؛ إذ ورَد الكلامُ عن الرّفَث والفسوق بصيغَةِ الخبَر، لا بصيغَةِ الأمر المباشر، وهذا أرفق بالسامع! أمّا الجدال فوقَع منصوبًا نفْيًا للجنس[(١)]؛ ليكون التّنفيرُ منه أكثرَ من غيرِه.

القراءة الثالثة: ﴿فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ﴾ برَفْع الأسماء الثلاثة، وتنوينها علىٰ الخبَرِيَّةِ، أي أنَّ "لا" في هذه القراءة هي "لا النافية" التي تعْمَل عمل "ليس" في المعنىٰ، لكنها لا تعْمل النصبَ، بل ترفَع الاسم بعْدها[(٢)]، ويكون لها محذوف هو المبتدأ، والتقدير: فلا يكون رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج[(٣)]، والمعنىٰ: لا يوجد رفث، ولا يوجد فسوق، ولا يوجد جدال في الحج، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في مواضع أخرىٰ من القرآن، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٣٨]، وهو مِن أساليب النّفْيِ الخبريّة.

وهذه القراءة تُعَبِّرُ عن واقعٍ مثاليٍّ مُحَبَّذٍ، كأنّ الآية تصِفُ الحج الحقيقيّ الكامل، الذي يجب أن يكون خاليًا من هذه الأمور، كما يقول القائل مثلًا: في هذا المكان لا ظلمٌ ولا خوفٌ ولا فسادٌ، فهُو لا يَعْني بكلامه عدَم وقوع شيء من ذلك فحسْبُ، بل يَصِفُ البيئةَ بأنها مثاليّةٌ نَقِيّةٌ!

---

(١) يُنظر: معاني القرآن للأخفش / ٢٦، وباهر البيان في معاني مشكلات القرآن، ١/ ١٩٣.

(٢) يُنظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن ١/ ١٤٣.

(٣) يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي ٥/ ٢١٧، والدر المصون ٢/ ٣٢٦.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

والتلطيفُ اللغويّ في هذه القراءة أظهَرُ منه في سابِقَتَيْهَا؛ إذ لم يُوَجَّهِ الكلام إلىٰ المخاطَبِ بصيغَةِ النّهْيِ المباشِر، بل تجاوزَ ذلك إلىٰ وَصْفِ الحالة التي ينبَغِي أن يكون عليها الحاجُّ، كأنّ الحَجّ في حَدّ ذاتِه فضَاءٌ مُطَهَّرٌ، لا يوجَدُ فيه رفثٌ، ولا فسوقٌ، ولا جدالٌ، وهذا من أساليبِ التّزْكِيَةِ المبطّنَةِ التِي تُشَجّعُ الحاجّ علىٰ أن يُطابِقَ حالُه هذا الأنموذَجَ الطّاهِرَ.

كما أنّ فيها تعليمًا بالمثال والقُدْوةِ؛ فبدَلًا مِن أن يكون النّهيُ مباشرًا: لا ترفثُوا، ولا تفسُقوا، ولا تجادلُوا، قِيلَ: لا رفثٌ، ولا فسوقٌ، ولا جدالٌ في الحجّ[1]، كأنّما يُقَال للحاجّ: إن كنت حاجّا علىٰ وجْه الحقيقة فلْتَكُنْ هذه الصفات الثلاثُ أبْعَدَ شيءٍ منك، ولا ينبَغِي أن يراها الناسُ فيك.

(١) يُنظر: الوسيط للواحدي ١/ ٣١٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثاني: التلطّف في سؤال الله تعالى بالرّحم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

اختلف القراء العشرة في كلمة: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ على قراءتيْن:

القراءة الأولى: ﴿وَالْأَرْحَامِ﴾ بجَرّ الميم، وبها قرأ الإمام حمزةُ وَحْدَه.

القراءة الأخرى: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ بنصْب الميم، وبها قرأ بقية القُرّاء العشرة(١).

أمّا قراءة الجمهور: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ فمنصوبةٌ عطْفًا على اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ والمعنى: واتقوا اللهَ، واتقوا الأرحامَ أن تقطعوها(٢)؛ فالأمر بتقوى الله تعالى يتْبَعُه أمرٌ آخَرُ بتقوى الأرحام، أي: صِلَتها وعدَم قطْعِها؛ فهُنا أمران، أمّا الأوّل فتَقْوَى الله تعالى باتّباع ما أمَر به، والكَفّ عمّا نهَى عنه، وأمّا الآخَرُ فتَقْوَى الأرحام بصِلَتِها، ومُعامَلَتِها بالبرّ والإحسان(٣).

وقد انطوَتْ هذه القراءة على معالِمَ من التلطيف اللغوي، أذكُرها في النقاط الآتية:

١- جمَعَتْ هذه القراءةُ بيْن الأمْر بتَقْوى الله تعالى والأمْر بتقوى الأرحام، وفيها تدَرّج لطيفٌ في الخطاب، حيث التعظيمُ الإلهِيّ في قولِه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ مشفوعًا بالحَضّ على التعاطف الإنسانيّ! المفهوم مِن قوله سبحانه: ﴿وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ أي: واتقُوا

(١) ينظر: السبعة لابن مجاهد، صـ٢٢٦، والنشر لابن الجزري ٢/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٥٢، وإيجاز البيان عن معاني القرآن للنيسابوري ١/ ٢٢٢.

(٣) يُنظر: التفسير الوسيط للدكتور/ محمد سيد طنطاوي ٣/ ٢٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الأرحامَ؛ فكأنّ في الآية دعوةً إلىٰ أن تكون القلوب رقيقةً بعضُها مع بعضٍ! بعد تعظيم الله تعالىٰ وتقواه(١).

٢- انتقَلَتْ هذه القراءةُ من مقام التعظيم إلىٰ مقام التّلْيين في سياق واحِدٍ، وجمعَتْ بيْن لفْظَيْن كلاهما موصوفٌ بالرحمة! وهما: ﴿ٱللَّهَ﴾ و﴿وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ فالله تعالىٰ رحيم بعباده، والرّحِمُ مشتَقّة من الرحمة(٢)! واجتماع اللفظَيْن مُؤْذِنٌ بتلطيفٍ بليغٍ!

وأمّا قراءة الإمام حمزة: ﴿وَٱلْأَرْحَامِ﴾ فمجرورةٌ عطْفًا علىٰ الضّمير المجرور في قوله تعالىٰ: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ والمعنىٰ: تساءلون به وبالأرحامِ، أي: اتقوا الله الذي يسأل بعضُكم بعضًا به وبالرّحِم علىٰ سبيل الاستعطاف! فيقول أحدُهم: أسألك بالله وبالرَّحِم أن تَفْعَل كذَا(٣).

وفي هذه القراءة من معالم التلطيف اللغويّ ما يأتي:

١- تُصوّر هذه القراءة أسلوب العرَب في الاستعطاف(٤)! إذ كانوا يقرنون الرَّحِمَ بالله تعالىٰ في السؤال والتّوسّل! فيقولون: نشَدتُّك اللهَ والرَّحِمَ أن تفْعَل كذا(٥)؛ فهي

---

(١) يُنظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٢٢٥، ولباب التأويل للخازن ١/ ٣٣٧، وفتوح الغَيْب للطيبي ٤/ ٤٠٧.

(٢) يُنظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٥٢٢، وتفسير ابن المنذر ٢/ ٥٤٨، ولباب التأويل للخازن ١/ ٣٣٧، وفتوح الغيب للطيبي ٤/ ٤٠٧.

(٣) يُنظر: الكشاف للزمخشري ١/ ٤٦٢، ومدارك التنزيل للنسفي ١/ ٢٠٠، وغرائب القرآن للنيسابوري ٢/ ٣٤١، والتفسير الوسيط للدكتور/ محمد سيد طنطاوي ٣/ ٢٢.

(٤) يُنظر: مدارك التنزيل للنسفي ١/ ٢٠٠.

(٥) يُنظر: مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤٧٥، ولباب التأويل للخازن ١/ ٣٣٧، والبحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٤٩٨.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

تحمل معنىٰ الترقيق في السّؤال والطلبِ! إذ يُسأل المرء بحقّ الله تعالىٰ، وبحقّ القرابة والرحِم، وكلّ ذلك مما يرقّ له القلْبُ! لأنّ القرابة موجِبَةٌ للرأفة والتّعطّف[١]!

٢- تُذَكّر هذه القراءةُ بتَقْوَىٰ الله تعالىٰ بأسلوبٍ يُثير العطْفَ! ويَبْعَثُ علىٰ الحُنوّ! وهذا تمْهِيدٌ لتأكيد وجوب تَقْواه سبحانه، وصلة الأرحام[٢].

قال الطِّيبيُّ: " قلتُ: فالاستعطاف يستفاد من اللفظ الذي يُشْعِر بالعطف والحنوّ! ومعنىٰ الاستعطاف ها هنا مأخوذ مِن لَفْظ: (الله) و (الرحم)، فإنّ القرابة موجبةٌ للتّعَطُّف والرأفة؛ يؤيد هذا التأويلَ قولُه[٣] بعد هذا: "واتقوا الله الذي تتعاطفون بإذكاره وبإذكار الرَّحِم[٤]".

٤- تَجْمَع هذه القراءةُ بيْن تعظيم الله تعالىٰ وذِكْر الرّحِم في مقام الاستعطاف واللين! واجتماعُهُما معًا يُصَوّر المشهد الإنسانيَّ اللطيفَ الذي يستعْطِفُ فيه الإنسان أخاه بالله وبالرّحِم[٥].

(١) حاشية الطيبي علىٰ الكشاف ٤/ ٤٠٧.

(٢) يُنظر: لباب التأويل للخازن ١/ ٣٣٧.

(٣) الضمير هنا للزمخشري، وليس لله تعالىٰ. والكلام المذكور بعْدُ في الكشّاف ١/ ٤٦٣.

(٤) فتوح الغيب للطيبي ٤/ ٤٠٧.

(٥) يُنظر: جامع البيان للطبري ٧/ ٥٢٢، وتفسير ابن المنذر ٢/ ٥٤٨، وفتوح الغيب للطيبي ٤/ ٤٠٧.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المبحث الثالث: التلطّف في الدّعوة إلى اللّه تعالى

قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[النازعات: ١٨].

اختلف القراء في كلمة: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ على قراءتين:

القراءة الأولى: ﴿تَزَّكَّىٰ﴾ بتشديد الزاي، وبها قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو جعفرٍ.

القراءة الثانية: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بتخفيف الزاي، وبها قرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلَف العاشر(١).

أمّا قراءة: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بتخفيف الزاي؛ فأصْلُها: (تَتَزَكَّىٰ) بتاءَيْن، إحداهما تاءُ المضارعة، والأخرىٰ تاءُ التّفَعُّل؛ فحُذِفَت الثانية منهما تخفيفًا(٢).

ومَعْنَى هذه القراءة: فقل هل لك يا فرعونُ إلىٰ أن تتطَهّر فتكون زَكِيًّا مؤمِنًا(٣)؟ فالتّزْكِيَةُ في هذه القراءة معناها: الإسلام والإيمان(٤)، أي: فقلْ هل لك إلىٰ أن تَشْهَد أن لا إله إلا اللهُ(٥)، أو: ألم يأنِ لك أن تُسْلِمَ وتعْملَ صالحًا(٦)؟.

وقيل: بل التّزكيَةُ التّطهُّر مِن الشِّرْك والكُفْر والرّذائل(٧)، أي: هل لك إلىٰ أن تتطَهّر مِن كُفْرِكَ وعصيانك يا فرعون؟وتتحلّىٰ بالفضائل، وتترك الرّذائل(٨)؟

---

(١) يُنظر: النشر لابن الجزري ٢/ ٣٩٨.

(٢) يُنظر: معاني القراءات للأزهري ٣/ ١٢٠، وحجة القراءات لابن زنجلة، صـ٧٤٩.

(٣) يُنظر: جامع البيان للطبري ٢٤/ ٢٠٠، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٢٠١.

(٤) يُنظر: جامع البيان للطبري ٢٤/ ٢٠٠.

(٥) التفسير البسيط للواحدي ٢٣/ ١٨٧، واللباب لابن عادل ٢٠/ ١٣٧.

(٦) يُنظر: بحر العلوم للسمرقندي٣/ ٥٤٣.

(٧) يُنظر: لباب التأويل للخازن ٤/ ٣٩٢.

(٨) يُنظر: الوجيز للواحدي، صـ١١٧٠، والتفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء ١٠/ ١٧٧٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ويكاد المفَسّرون يُجمِعُون علىٰ أنّ قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] جاء في سياق أمْر نبيّ الله موسىٰ وأخيه هارون – عليهما السلام – بالتّرَفّق والتّلطّف مع فرعون في أثناء دعوته إلىٰ الله تعالىٰ؛ لذلك تجدهم يَسْتَدْعون هذه الآية عند قوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] ذاكِرين أنّ المراد بالقول اللَّيِّن قولُه تعالىٰ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] وهي آيةٌ تحمِلُ كثيرًا مِن معاني الرّفْق واللّطْف في دعوة المخالف.

وقد انطَوَتْ هذه الآية على معالم من التلطيف اللغوي، يمكن بيانُ أهَمِّها فيما يأتي:

١ – السّياق الذي وردَتْ فيه الآيةُ سياقُ تلطّفٍ! لأنّ دعوة الجبابرةِ تتطلّب من التّرفّق واللينِ أكثَرَ ممّا تتطلّبُه دعوةُ غيرهم؛ لذلك قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون – عليهما السلام – عندما ذهَبا إلىٰ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] فالتّلطّف في الخطاب وَلينُ الكلام ورِقّتُه طريق ممهّد لقبول الدعوة(١)، قال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال الزمخشري: " وأرْدَفه الكلام الرقيق! ليسْتَدْعِيَه بالتلطف في القول! ويستنزله بالمداراة من عُتُوّه، كما أمر بذلك في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾(٢)".

٢– التّلَطّف في اختيار صيغة التخفيف: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ ، فإسقاط تاءِ التّفَعّل يَقتَضي التخفيف(٣)، كما أنّ التخفيفَ نفسَه علامةُ رفْقٍ! لأنّ فيه دفْعَ التّكَلُّفِ؛ إذ لا يُشْعِرُ المخاطَب بأنّ المطلوب شيء شاقّ علىٰ النّفْس، بل هُو مُجَرّد أن يصير زَكِيّا فحسْبُ.

---

(١) يُنظر: الكشاف للزمخشري، وملاك التأويل ٢/ ٣٣٩، وأضواء البيان ٤/ ١٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٦٩٥.

(٣) يُنظر: نظم الدرر ٢١/ ٢٣٠.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- الاستفهام في قولِه تعالىٰ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] محمولٌ علىٰ العَرْض مع التّلَطّف في الطّلَب[١]!والمعنىٰ: هل لك أن تُجيبَنَا إلىٰ الطّريقَةِ التي تَتَزَكَّىٰ بها[٢]؟ أو: هل ترغب في دلالَتِنا علىٰ ذلك[٣]؟ كأنه أمْرٌ من الله تعالىٰ لهما باللّطْف مع فرعون عندما يُخاطِبَانِهِ[٤]، ولا شكّ أنّ هذا أدْعَىٰ للقبول، وأوْقَعُ في نفس فرعون[٥]، شَاهِدُه قولُه تعالىٰ: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: ٤٤].

٤- الْحَضّ علىٰ حفْظ الجميل؛ فقد ذكَر بعضُ المفسّرين أنّ الله تعال أمر نبيّه موسىٰ وأخاه هارون – عليهما السلام – بإلانة القول لفرْعون والتلطّف معه؛ لِمَا له مِن حَقّ تَرْبِيَة موسىٰ عليه السلام[٦].

وأما قراءة: ﴿تَزَّكَّىٰ﴾ بتشديد الزاي؛ فأصْلُها: تَتَزَكَّىٰ، أُدغِمَت التّاء الثانيةُ في الزّاي[٧]، ومَعْنَىٰ: ﴿تَزَّكَّىٰ﴾ تتصدّق بالزّكاة، وتتلَبّسُ بعمَل التّزكِية[٨]فالتشديد يدُلّ علىٰ التّكلّف والاهتمام وبذْل الجهْد في تَزكية النّفس.

---

(١) يُنظر: البحر المديد لابن عجيبة ٨/ ٣٥١، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢/ ١٨، والتفسير البياني للقرآن الكريم، د/ عائشة عبد الرحمن، ١/ ١٤٤.

(٢) يُنر: تفسير ابن كثير ٨/ ٣١٥.

(٣) يُنظر: بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٥٤٣.

(٤) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي ٦/ ٢٤٥.

(٥) يُنظر: البحر المديد لابن عجيبة ٨/ ٣٥١.

(٦) يُنظر: معالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧٤، لباب التأويل للخازن ٣/ ٢٠٥، والبحر المديد لابن عجيبة ٨/ ٣٥١.

(٧) يُنظر: معاني القراءات للأزهري ٣/ ١٢٠، وحجة القراءات لابن زنجلة، صـ٧٤٩.

(٨) يُنظر: الحجة لابن خالويه، صـ٣٦٢.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

وقد تضافَرَتْ كلماتُ المفسِّرين علىٰ أنّ قراءة التشديد تحمِل معانيَ العمل، لا مجرَّدَ الصفة، ومِن معانيها: التّصَدُّقُ[١]، وهو يَشمل كل ما يُسمّىٰ تزكيةً للنفس بالإنفاق والإحسان.

ومِن معانيها أيضًا: التطهّر من الشرك تطهّرًا فعليًّا[٢]؛ فهي تزكيةٌ عملية تشمل: التوبة، ترك الشرك، الإقبال علىٰ الحق، إصلاح العمل، كما تَعْنِي: التزكية البليغة علىٰ يد نبيٍّ[٣]؛ فالقراءة تشير إلىٰ أنّ موسىٰ عليه السلام يَدْعُو فرعون إلىٰ تزكيةٍ كاملة برعايَةٍ نبوِيّةٍ، ويَدْعُوه كذلك إلىٰ تَرْك الطغيان، وتطهير النّفس من الشرك، واتّباع الحق اتباعًا عمليًّا؛ فهي تزكية عملية لا مجرّد صفة.

وقد اشْتملتْ هذه القراءة على بعض معالم التلطيف، وفيما يأتي بيانُها:

١- ورودُها في سياقٍ عامٍّ، كلُّه لينٌ ومداراةٌ[٤]، إذ إنّ العلماء فسّروا القول الليّن في قوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] بأنّه قوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] وقد جاءت هذه القراءة مُحاطَةً بعبارات اللطْف واللين والرّفق! كما في قوله تعالىٰ: ﴿هَل لَّكَ﴾ علىٰ سبيل العَرْض لا الإلزام والإجبار، وقولِه سبحانه: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ وكلاهما توجيه رقيقٌ لفرعون، وتلطّفٌ معه، وهو أَشَدّ أهل الأرض إفسادًا.

٢- دلالة صيغة التفعّل علىٰ التدرّج والتكلّف المحمود، وهذا يناسب تلطُّف موسىٰ عليه السلام مع فرعون؛ إذ لم يطْلُب منه تَرْك ضلالِه دفعةً واحدة، بل الدعوة إلىٰ أن يبدأ في تزكية نفسه خطوةً خطوة، والتّدرُّجُ سُنّة كونيّةٌ كما هو معلومٌ[٥].

---

(١) يُنظر: الحجة لابن خالويه، صـ٣٦٢، والكشاف للزمخشري ٤/ ٧٦٤، والبحر المحيط لأبي حيان ١٠/ ٤٩٤.

(٢) يُنظر: معالم التنزيل للبغوي ٨/ ٣٢٨.

(٣) يُنظر: نظم الدرر ٢١/ ٢٣١.

(٤) تفسير الماتريدي ١٠/ ٤٠٨.

(٥) ولعلّ في حديث أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ما يشير إلىٰ ذلك، حيث أخرج الإمام البخاري من حديثها: "وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا". صحيح البخاري، باب تأليف القرآن، رقم الحديث: (٤٩٩٣)، ٦/ ١٨٥.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣- كونها تزكيَةً بِيَدِ نبيٍّ من أنبياء الله عليهم السلام؛ لأنّ التزْكية علىٰ يد نبيّ أيْسَرُ من غيرها، وأدْعَىٰ للقبول؛ لِمَا حباهم الله تعالىٰ من لطافة الحِسّ، والدعوة إليه تعالىٰ بالتي هي أحسَنُ(١).

٤- مناسبة التشديد لحقّ التربية؛ فإنّ موسىٰ عليه السلام نشأ في بيْت فرعون، وقد ذكَر المفسّرون أنّ الله تعالىٰ أمَرَهُ بإلانة القول لفرعون؛ لِمَا له عليه من حقّ؛ فكأنّ المعنىٰ: أتَرْضَىٰ يا فرعون – وقد كان بيْننا ما تعلم – أن أُعِينك علىٰ تَزكِيَة نفْسك؟ وهذا – من دون شكّ – من أفضل التلَطّف وأعظَم التّرفّق(٢)!

وقد أضافت قراءة التشديد بُعْدًا دلاليًّا، هو أنّ الدّعْوَةَ ليسَتْ لمجَرّد الاتصاف بالذّكاء، بل للقيام بعملٍ يُبرِز أثر الهداية، وهذا أدعىٰ للقبول؛ لأنّ عرْضَ العمل ألْطَفُ مِن عَرْض الإيمان المجرّد؛ فمن طبيعة النفوس – حتىٰ نفوس الجبابرة – أنّها قد تَرِقّ! إذا دُعيَتْ إلىٰ عمل الخير - كالصّدقة والتّطهُّر - أكثر من دعْوَتِها إلىٰ الإيمان المجرَّد أولًا، وهذا وجه دقيق من التلطيف العمليّ في هذه القراءة.

وبعد؛ فقد عَرَض هذا البحْثُ أبرزَ جوانب التلطيف في القراءات المتواترة موضوعِ الدراسة، ودلالاتها التي تُظهِر سموَّ البيان القرآني وتهذيبَه للخطاب من غير إخلال بالمعنىٰ أو الحُجّة، وبذلك يُختَتم البَحْثُ تمهيدًا لعَرْض نتائجه وتوصياته.

(١) يُنظر: نظم الدرر ٢١/ ٢٣١.

(٢) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي ٦/ ٢٤٥، لباب التأويل للخازن ٣/ ٢٠٥، ومعالم التنزيل للبغوي ٥/ ٢٧٤، والبحر المديد لابن عجيبة ٨/ ٣٥١.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

أولا: نتائج الدراسة

تمخّضتْ هذه الدراسةُ عن مجموعةٍ من النتائج، يمكن ذِكْرُها في النقاط الآتية:

١- تبايُن القراءات في كلمات مثل: ﴿عَرَفَ﴾و﴿عَرَّفَ﴾، ﴿لَامَسْتُمْ﴾ و﴿لَمَسْتُمْ﴾، ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ و﴿تُمَاسُّوهُنَّ﴾، يعكس مرونة التعبير القرآني في نقْل المعنىٰ الزّوْجيّ حيث يسمح السياق بتلطيف الخطاب دون التصريح المباشر، محافظًا علىٰ الحياء والكرامة، ومظهرًا حكمة التشريع النبوي في التعامل مع الجزئيات، كما أنّ الخلاف في هذه المواضِع يُتيح للأمّة سعةً فقهيةً وتربويةً، ويؤكّد أثرَ القراءات في بناء الأحكام وتوجيهِ الآداب الزوجية بلُطْفٍ وحياءٍ!

٢- الاختلاف في قراءة: ﴿لَا تُضَآرَّ﴾ يُبْرز التلطيف اللغوي في صياغة النهي القرآني؛ إذ يُستخدم البناء اللغوي لصياغة النهي بلطفٍ ومرونة، ناهيًا الوالِدَيْن عن إضرار كلّ منهما بصاحبِه، أو بالولد، مع الحفاظ علىٰ وضوح المقصود التشريعي دون تصعيدٍ لفظيٍّ.

٣- أبرزَتِ القراءاتُ الواردةُ في نداء الأبِ والأمّ أثرَ التّلْوين الصّوتيّ في تحقيق التلطيف؛ فاختلاف الحركة علىٰ التاء أو الميم في نحو: ﴿يَا أَبَتِ﴾و﴿يَابْنَؤُمّ﴾ يؤدّي وظيفةً دلاليّة تُجسِّد رقّة الخطاب، واستعطافَ المخاطَب، ومراعاةَ المقام الوجدانيّ في حوار الآباء والأبناء.

٤- كشَفَ التغايُرُ القرائيُّ في بعض المواضعِ، عنْ أنّ تلطيف العبارة ليس ظاهرةً صوْتية فحسْبُ؛ بل هو آليّة تربويّة تُعزِّز خُلُق البرّ وصِلَة الرَّحِم؛ إذ ينسجم الأسلوب

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

مع قدسيّة العلاقة الأسريّة، ويُرسِّخ قِيَمَ الاحترام والشفقة المتبادلة بيْن مكوّنات الأسرة، حتىٰ في أشدّ المواقف انفعالًا.

٥- تغايُرُ القراءات في بعض المواضِع يكْشفُ خصوصيّةً بلاغيّةً في اختيار عنوان الأبوة أو الأمومة في سياق التلطّف! فالتنقّلُ بينهما في المقامات المختلفة يوجّه الخطاب نحو أقوىٰ الروابط العاطفيّة، ويجعل للقراءات أثرًا في تقوية وشائج الرحمة عند وقوع النّزاع أو العِتاب.

٦- أبرزَتِ الدراسةُ أثَر القراءات في الكناية، حيث إنّ تنَوُّع الصِّيَغ القرائيّة يُعَزِّزُ قدْرةَ القرآن الكريم علىٰ توظيف الكناية بطُرُقٍ دقيقةٍ، تُوَسِّع دائرةَ الدلالةِ، وتَدْعَمُ فَهْمَ كلام الله تعالىٰ مِن دون المساس بوُضوح المعنىٰ.

ثانيا: التوصيات

١- تُوصِي الدراسة بدَمْج مباحث التلطيف اللغوي في القراءات ضِمْن مُقَرّرات تعليم القرآن الكريم وعلومه، عبْر مقارَبات تحليلية تُبيّن أثَر الخلاف القرائيِّ في تشكيل الدلالة وتوجيه الخطاب، ويُراعىٰ في هذا الدّمْج توظيفُ النماذج التطبيقية التي تُمكّن المتعلِّم من استثمار اختلاف القراءات في تنمية مهارات الفهْم القرآنيّ، وتعزيز وَعْيه بمظاهر التلوين الأسلوبي والبلاغي للنص.

٢- تدْعُو الدّراسةُ إلىٰ تحْويل التلطيف في القراءات من مجرّدِ تحليلٍ لُغَوِيّ، إلىٰ منهج تربوي عملي؛ وذلك برَبْط الظواهر الصوتية والدلالية بمقاصد تهذيب الخطاب وضبط السلوك؛ لِيَجْمَع المتَعَلِّمُ بيْن فهْم أسلوب القرآن الكريم، واكتسابِ مهاراتٍ تطبيقيةٍ في التواصل اليوميّ، علىٰ نحو يُسْهِمُ في ترسيخ القِيَم الأخلاقية، وتَنمِيَة الوعْي في المحيطَيْن الأُسَرِيِّ والمجْتَمَعِيّ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

ثبت المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصمٍ.**

٢- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، تأليف، أبي العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني - ت: ٩٢٣هـ - المطبعة الكبرىٰ الاميرية – مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ.

٣- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود**، تأليف/ أبي السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفىٰ – ت: ٩٨٢هـ - دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا طبعة.

٤- **أساس البلاغة**، تأليف/ أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري – ت: ٥٣٨هـ - تحقيق/ محمد باسل عيون السود

دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٥- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تأليف/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي – ت: ١٣٩٣هـ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، عام النشر ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٦- **إملاء ما من به الرحمن**، تأليف/ أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العُكبَرِيّ، المتوفىٰ سنة ٦١٦هـ، بلا طبعة، ولا تاريخ.

٧- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تأليف/ ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي – ت: ٦٨٥هـ- تحقيق/ محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

٨- **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، تأليف/ أبي القاسم، نجم الدين محمود بن أبىٰ الحسن بن الحسين النيسابوري – ت: ٥٥٠هـ- تحقيق الدكتور/ حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٩- **بحر العلوم**، تأليف/ أبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق الدكتور/ محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت – لبنان، بلا طبعة ولا تاريخ.

١٠- **البحر المحيط في التفسير**، تأليف/ أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي – ت:٧٤٥هـ- تحقيق/ صدقي محمد جميل، ار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

١١- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تأليف/ أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي الصوفي – ت: ١٢٢٤هـ - تحقيق/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د/ حسن عباس زكي – القاهرة، الطبعة الأولىٰ ١٤١٩هـ.

١٢- **البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ**، تأليف/ أبي المظفر، مؤيد الدولة، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري – ت: ٥٨٤هـ - تحقيق الدكتور/ أحمد أحمد بدوي، وآخَرِين، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإقليم الجنوبي - الإدارة العامة للثقافة، بلا طبعة ولا تاريخ.

١٣- **تاج العروس من جواهر القاموس**، تأليف/ محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبي الفيض، الملقّب بمرتضىٰ الزَّبيدي – ت: ١٢٠٥هـ- تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا طبعة ولا تاريخ.

١٤- **تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي**، تأليف/ محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي – ت: ٣٣٣هـ - تحقيق الدكتور/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

١٥- **التجريد**، تأليف/ أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان، أبي الحسين القدوري – ت: ٤٢٨هـ - تحقيق/ مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية،

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

أ.د/ محمد أحمد سراج، أ. د/ علي جمعة محمد، دار السلام – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

١٦- **تحبير التيسير في القراءات العشر**، تأليف/ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف، المعروف بابن الجزري – ت: ٨٣٣هـ - تحقيق الدكتور/ أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان – الأردن، عمان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

١٧- **التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من** تفسير الكتاب المجيد، تأليف/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي – ت: ١٣٩٣هـ - الدار التونسية للنشر – تونس، عام النشر ١٩٨٤م.

١٨- **التفسير البياني للقرآن الكريم**، تأليف الدكتورة/ عائشة محمد علي عبد الرحمن، المعروفة ببنت الشاطئ – ت: ١٤١٩هـ - دار المعارف – القاهرة، الطبعة السابعة، بلا تاريخ.

١٩- **التفسير الحديث**، تأليف الدكتور/ محمد عِزّت دروزة، دار إحياء الكتُب العربية، القاهرة، عام النشر ١٣٨٣هـ.

٢٠- **التفسير البسيط**، تأليف/ أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري – ت: ٤٦٨هـ- تحقيق/ مجموعة من الباحثين في رسائل (دكتوراه) بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٠هـ.

٢١- **تفسير الراغب الأصفهاني**، تأليف/ أبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانىٰ – ت: ٥٠٢هـ - تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٢٢- **تفسير الشعراوي** = **الخواطِر**، تأليف الشيخ/ محمد متولي الشعراوي – ت: ١٤١٨هـ - عام النشر ١٩٩٧م.

٢٣- **تفسير القرآن** = **تفسير السمعاني**، تأليف/ أبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزىٰ السمعاني – ت: ٤٨٩هـ - تحقيق/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ= ١٩٩٧م.

٢٤- **تفسير القرآن العظيم** = **تفسير ابن كثير**، تأليف/ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي -ت: ٧٧٤هـ- تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

٢٥- **تفسير المراغي**، تأليف/ أحمد بن مصطفىٰ المراغي – ت: ١٣٧١هـ- شركة مكتبة ومطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولىٰ، ١٣٦٥هـ = ١٩٤٦م.

٢٦- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، تأليف/ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، وبقيّتها عام ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.

٢٧- **التفسير الوسيط**، تأليف الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة الأولىٰ، بداية تاريخ النشر ١٩٩٧م، وآخِرُه ١٩٩٨م.

٢٨- **التلطف في الأساليب العربية**، تأليف/ علي بن عبد العزيز الراجحي، كتاب إلكتروني.

٢٩- **تهذيب اللغة**، تأليف/ أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، - ت: ٣٧٠هـ- تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠١م.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣٠- **التيسير في أحاديث التفسير**، تأليف/ محمد المكي الناصري – ت: ١٤١٤هـ- دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

٣١- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تأليف/ أبي الحسن الواحدي – ت: ٤٦٨هـ - تحقيق وتعليق الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، وآخَرِين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

٣٢- **جامع البيان في تأويل القرآن**، تأليف/ أبي جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي – تك ٣١٠هـ -تحقيق الشيخ/ أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٣٣- **جامع البيان في القراءات السبع**، تأليف/ أبي عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر – ت: ٤٤٤هـ - تحقيق/ مجموعة ن الباحثين في رسائل (ماجستير) بجامعة أم القرىٰ، جامعة الشارقة – الإمارات، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٣٤- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تأليف/ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي – ت: ٦٧١هـ - تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

٣٥- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، تأليف/ محمد بن إسماعيل أبي عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية، بإضافة ترقيم الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقي.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٣٦- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تأليف/ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي – ت: ٨٧٥هـ - تحقيق الشيخ/ محمد علي معوض، وآخَرِين، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ.

٣٧- **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي = شرح مختصر المزني**، تأليف/ أبي الحسَن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي – ت:٤٥٠هـ - تحقيق الشيخ/ علي محمد معوض، وآخَرِين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

٣٨- **الحجة في القراءات السبع**، تأليف/ أبي عبد الله، الحسين بن أحمد بن خالويه – ت: ٣٧٠هـ - تحقيق الدكتور/ عبد العال سالم مكرم، دار الشروق – بيروت/ الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ.

٣٩- **حجة القراءات**، تأليف/ عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة – ت: حوالي ٤٠٣هـ - تحقيق الأستاذ/ سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بلا طبعة ولا تاريخ.

٤٠- **حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، تأليف الشيخ العلامة/ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان/ الطبعة الأولىٰ، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

٤١- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تأليف/ أبي العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، المعروف بالسمين الحلبي – ت:٧٥٦هـ - تحقيق الدكتور/ أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، بلا طبعة ولا تاريخ.

٤٢- **ديوان ابن الفارض**، تأليف/ عمر بن علي بن مرشد الحموي، المعروف بابن الفارض – ت: ٦٣٢هـ - كتاب إلكتروني.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٤٣- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تأليف/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي – ت: ١٢٧٠هـ - تحقيق/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٥هـ.

٤٤- **زهرة التفاسير**، تأليف الشيخ/ محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد، المعروف بأبي زهرة – ت: ١٣٩٤هـ - دار الفكر العربي، بلا طبعة ولا تاريخ.

٤٥- **السبعة في القراءات**، تأليف/ أحمد بن موسىٰ بن العباس التميمي، أبي بكر بن مجاهد البغدادي – ت: ٣٢٤هـ - تحقيق الدكتور/ شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

٤٦- **شرح التلقين**، تأليف/ أبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي – ت: ٥٣٦هـ - تحقيق الشيخ/ محمَّد المختار السّلامي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ٢٠٠٨م.

٤٧- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تأليف/ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي – ت: ٣٩٥هـ - محمد علي بيضون، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

٤٨- **الصّناعتين**، تأليف/ أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيىٰ بن مهران العسكري – ت: ٣٩٥هـ - تحقيق/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩هـ.

٤٩- **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، تأليف/ يحيىٰ بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي – ت: ٧٤٥هـ - المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ.

٥٠- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تأليف/ السمين الحلبي – ت: ٧٥٦هـ - تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٥١- **عناية القاضي وكفاية الراضي = حاشية الشهاب الخفاجي المصري** – ت: ١٠٦٩هـ - علىٰ البيضاوي، دار صادر – بيروت، بلا بيانات.

٥٢- **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، تأليف/ محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، المعروف بتاج القراء – ت: ٥٠٥هـ - دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، بلا طبعة ولا تاريخ.

٥٣- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب = حاشية الطيبي على الكشاف**، تأليف/ شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي –ت: ٧٤٣ هـ - مجموعة من الباحثين بإشرافٍ عامّ للأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.

٥٤- **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، تأليف/ نعمة الله بن محمود النخجواني، المعروف بالشيخ علوان – ت: ٩٢٠هـ- دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

٥٥- **فيض الباري على صحيح البخاري**، تأليف/ محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي – ت: ١٣٥٣هـ- تحقيق/ محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

٥٦- **الكافي في فقه الإمام أحمد**، تأليف/ أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، المعروف بابن قدامة المقدسي – ت: ٦٢٠هـ - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

٥٧- **الكامل في اللغة والأدب**، تأليف/ أبي العباس محمد بن يزيد المبرد – ت: ٢٨٥هـ - تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٥٨- **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها**، تأليف/ يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده، أبي القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي - ت: ٤٦٥هـ - تحقيق/ جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

٥٩- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، تأليف/ أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله - ت: ٥٣٨هـ- دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٦٠- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تأليف/ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي - ت: ٤٢٧هـ- تحقيق/ الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

٦١- **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تأليف/ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، المعروف بالخازن - ت: ٧٤١هـ - تصحيح/ محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولىٰ - ١٤١٥هـ.

٦٢- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تأليف/ أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي - ت: ٥٤٢هـ - تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٢هـ.

٦٣- **معاني القرآن**، تأليف/ أبي زكريا الفراء، يحيىٰ بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي- ت: ٢٠٧هـ - تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي، وآخَرِين، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولىٰ، بلا تاريخ.

٦٤- **معاني القرآن**، تأليف/ أبي الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط - ت: ٢١٥هـ - تحقيق الدكتورة/ هدىٰ محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٦٥- **معاني القرآن وإعرابه**، تأليف/ إبراهيم بن السري بن سهل، أبي إسحاق الزجاج – ت: ٣١١هـ - تحقيق/ عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٦٦- **معاني القراءات**، تأليف/ أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي – ت:٣٧٠هـ - مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

٦٧- **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، تأليف/ محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي – ت: ٥١٠هـ- تحقيق/ محمد عبد الله النمر، وآخَرِين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

٦٨- **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، تأليف الأستاذ الدكتور/ محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الأولىٰ، عام ٢٠١٠م.

٦٩- **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، تأليف/ أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي – ت: ٦٠٦هـ - دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٧٠- **مقاييس اللغة**، تأليف/ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، - ت: ٣٩٥هـ - تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٧١- **المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء**، تأليف/ القاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني – ت: ٤٨٢هـ - عُنِي بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الطبعة الاولىٰ ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م.

٧٢- **النشر في القراءات العشر**، تأليف/ الإمام ابن الجزري – ت: ٨٣٣هـ - تحقيق الشيخ/ علي محمد الضباع – ت: ١٣٨٠هـ- المطبعة التجارية الكبرىٰ، بلا تاريخ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

٧٣- **نهاية المطلب في دراية المذهب**، تأليف/ إمام الحرمَين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، أبي المعالي الجويني – ت: ٤٧٨هـ – حققه وصنع فهارسه أ. د/ عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٧٤- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تأليف/ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي – ت: ٨٨٥هـ – تحقيق/ عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عام النشر ١٤١٥هـ.

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخّص البحث	٢٢٩
مقدمة	٢٣٢
التمهيدُ	٢٣٩
المبحث الأول: تعريف التلطيف لغةً واصطلاحًا.	٢٣٩
المبحث الثاني: الفرْقُ بيْن التلطيف في اللغة والأدب والقراءات.	٢٤١
المبحث الثالث: فوائد التلطيف.	٢٤٣
الفصل الأول: أَثَرُ القراءات في التلطيفِ بين الزوجين.	٢٤٥
المبحث الأول: التلطيف بالتغاضي بيْن الزوجين.	٢٤٥
المبحث الثاني: التلطيف في التعْبير عن غشْيان الرجُلِ امرأتَه، وفيه مطلبان:	٢٤٩
المطلب الأول: القراءات الواردة في كلمة: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ مِن قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ [النساء: ٤٣] و[المائدة: ٦].	٢٤٩
المطلب الثاني: القراءات الواردة في كلمة: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ حيث وردَتْ.	٢٥٣
المبحث الثالث: أثرُ القراءات في تلطيف العبارة في مقام نهْي الزوجَيْن عن الإضرار ببعضهما، أو بولَدِهما.	٢٥٦
الفصل الثاني: أثر القراءات في التلطّف في علاقة الولَد بوالِدَيْه، وفيه أربعة مباحث:	٢٦٢
المبحث الأول: التلطيف في مناداة الولد والِدَه.	٢٦٢
المبحث الثاني: التلطيف في النداءِ بعنوان الأمومة.	٢٦٧
المبحث الثالث: النهي عن إيذاء الوالدين ولو بأدنَىٰ كلمةٍ.	٢٧٢
المبحث الرابع: التلطيف في نداء الوالد ولدَه.	٢٧٦
الفصل الثالث: أثر القراءات في التلطّف مع الأنبياء عليهم السلام، وفيه مبحثان:	٢٨٠
المبحث الأول: التلطيف في نقْل كلام الجاهل مع تنزيه المتكلّم الحقيقيّ عن	٢٨٠

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية

WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

الموضوع	رقم الصفحة
سوء الأدَب.	
المبحث الثاني: نفْيُ الغلول عن النبي ﷺ.	٢٨٦
الفصل الرابع: أَثَر القراءات في تلطّف الخطاب القرآنيّ وتلْطيفه، نماذج من النّهي والسؤال والدعوة إلىٰ الله	٢٩٢
المبحث الأول: النّهْيُ عن الرفَث والفسوق والجدال في الحجّ.	٢٩٢
المبحث الثاني: التلطّف في سؤال الله تعالىٰ بالرّحم.	٢٩٧
المبحث الثالث: التلطّف في الدّعوة إلىٰ الله تعالىٰ.	٣٠٠
الخاتمة	٣٠٥
ثبت المصادر والمراجع	٣٠٧
فهرس المحتويات	٣١٨

المكتبة العالمية لكتب التجويد والقراءات علي الشبكة العنكبوتية